الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب و اللغات
قسم الأدب واللغة العربية

صـورة اليهـودي فـي الرواية الجزائرية "أنا وحاييم" لـ: "الحبيب السائـــح"

أنمــوذجـــا

إعداد الطالبة:
تلي آسيـــا

إشراف الأستاذ الدكتـــور:
عبد الرحمان تبرماسين

السنـــــة الجـــامعية : 2021 / 2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة محمد خيضر بسكرة

كلية الآداب و اللغات
قسم الأدب واللغة العربية

صـورة اليهـودي فـي الرواية الجزائرية "أنا وحاييم" لـ: "الحبيب السائـــح"

أنمــوذجـــا

إعداد الطالبة:
تلي آسيـــا

إشراف الأستاذ الدكتـــور:
عبد الرحمان تبرماسين

السنـــــة الجـــامعية : 2021 / 2022

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر و عرفان

الحمد الله الذي أعانني على انجاز هذا البحث المتواضع حمدا كثيرا لا ينقطع أوله ولا ينتهي آخره، و أصلي على أفضل الخلق محمد –صلى اله عليه وسلم- وعلى اله و أصحابه الطيبين الطاهرين.

أما بعد؛ فلم يكن البحث ليرى النور، لولا أن أمده الله بالأستاذ الدكتور عبد الرحمان تبرماسين الذي شرفت بإشرافه على بحثي، فصبر علي و صابر معي لتخرج الفكرة في صورة بحث علمي؛ يمكن الاستفادة منه.

واشكر المناقشين؛ على ما قام به من جهد مشكور في قراءة الرسالة و إثرائها بالملاحظات الهامة و المفيدة عليها ليقوى بناؤها و يزداد نفعها بإذن الله، وكما أتوجه بالشكر للأستاذ الدكتور تلي سيف الدين شقيقي الذي أفدت كثيرا من إرشاداته القيمة.

كما أقدم الشكر لأخي العزيز أسامة تلي و الأستاذ خان محمد لما قدمه من مساهمة في الحصول على بعض الروايات و المراجع المهمة.

ولا أنسى إخوتي حنان، محمد ياسين ، تقي الدين، إيهاب.

و الشكر موصول لكل من شارك أو ساهم، ولو بشطر كلمة في انجاز هذا العمل؛ أقدم لهم جميعا حبا ووفاء.

جزاكم الله عني كل الخير وحسن الجزاء.

مقـــــدمـــــــــــة

مقدمة

مع مطلع الألفية الجديدة سجلت الساحة الأدبية تصاعدا ملحوظا لحضور الشخصية اليهودية في المتون الروائية، وذلك من خلال رسم صورة تنبذ التعصب الأيديولوجي و العرقي، بغية الاندماج السلمي في هذا العالم الجديد. ولأن موضوع الصورة الأدبية شهد نقلة نوعية بعد دخوله حقل الدراسات المقارنة، إذ اتسعت مجالاته لتشمل دراسة صورة الآخر، من خلال تقصي أهم صفاته و ميزاته، وكشف خبايا الكثير من الرؤى الأدبية المتعلقة به،

وقد انفتح الأدب الجزائري هو الأخر على مثل هذا التصوير، نظرا للحضور القوى لهذا الآخر في حياة الجزائريين و العرب بصفة عامة، وقد تجلت صورته لدى العديد من الأدباء الجزائريين أمثال طاهر وطار، واسيني الأعرج، أحلام مستغانمي، أمين الزاوي وغيرهم ممن صوروا هذا الكيان في رواياتهم ساخرين منه أحيانا و ناقمين عليه أحيانا أخرى.

وقد تناول الروائي الحبيب السائح، صورة اليهودي في المجتمع الجزائري بصورة مختلفة، كونه يعتبر أحد أهم الأدباء الجزائريين، هذا الأخير الذي جعلت دراستي حوله وعنونتها بصورة اليهودي في الرواية الجزائرية رواية "أنا وحاييم" أنموذجا، مخصصة الدراسة على ضوء رؤية المجتمع الجزائري لليهودي عبر فترات من الزمن.

وقد وقع الاختيار على هذا الموضوع، قصد السعي من أجل تلمس أهم ميزات و مكونات الشخصية اليهودية السلبية منها و الإيجابية، و الوقوف على أهم الخصائص النفسية التي طبعت هذا الجنس البشري ضمن رواية "الحبيب السائح" الذي يمثل أحد رواد الأدب العربي الجزائري الحديث.

و السؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام هو كيف صور الحبيب السائح اليهودي في روايته أنا وحاييم؟ وما هي أهم الملامح النفسية التي صقل بها هذا التصوير؟ وما صدى تأثير الصراع اليهودي الجزائري في رسم هذه الصورة؟

ولعلي أشير في هذا الصدد إلى مجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت الحديث عن صورة اليهودي، مثل دراسة "مونية بو سوالم" في مذكرتها المعنونة بـ: صورة الآخر/ اليهودي في رواية الخلان لأمين الزاوي.

و سأعتمد في مسار بحثي على جملة من المصادر و المراجع أبرزها: كتاب يهود مدينة الجزائر لـ: "نجوى طوبال"، إضافة الى كتاب يهود الجزائر لـ: "فوزي سعد الله"، كذلك كتاب موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية للكاتب: "عبد الوهاب المسيري".

و سأعتمد في هذا البحث الموسوم بـ: صورة اليهودي في الجزائر "أنا وحاييم" أنموذجا للروائي "الحبيب السائح" على المنهج التكاملي الذي يجمع بين عدة مناهج منها: المنهج التاريخي لأن رواية أنا وحاييم تروي أحداث تاريخية، و تتطلب العودة الى تاريخ نضال الجزائر ضد الاستعمار الفرنسي، وإلى فترة الوجود اليهودي في الجزائر قبل وبعد الاستعمار الفرنسي، فقد عبرت رواية "أنا وحاييم" لـ: "الحبيب السائح" عن رؤى جديدة من خلال الوقائع التاريخية، و اكتشاف البعد التاريخي، فهذه الرواية تتصل بتاريخ الجهاد الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي و مساهمة اليهودي "حاييم" في الثورة بطرق مباشرة وغير مباشرة، أما المنهج الوصفي الذي من خلاله استطعنا معرفة أوصاف اليهود في الحقبة الزمنية بين الاستعمار و الاستقلال، و المنهج التحليلي اعتمدت فيه على تحليل أحداث الرواية و محاولة فهم صورة اليهودي من منظور الكاتب، و المنهج النفسي الذي يخوض في أعماق نفسية كل من البطل "أرسلان" و"حاييم" وبعض من اليهود و الجزائريين المشاركين في أحداث الرواية بصورة فعالة.

اقتضت طبيعة هذا البحث أن اقسمه الى مقدمة وثلاثة فصول: الأول و الثاني نظري و الفصل الثالث تطبيقي.

الفصل الأول: درست فيه بدايات ظهور اليهود في الجزائر و ما مدى مساهمتهم في دخول الاستعمار الفرنسي إليها، و حقيقة صورة اليهودي في الجزائر على مدى سنوات الاستعمار الى ما بعد الاستقلال سأحاول إبراز أهم الحالات التي يمكن أن نفهم من خلالها عقلية اليهودي الجزائري، والتي لم تخرج عن نطاق الصورة الايجابية وكذا الصورة السلبية.

الفصل الثاني: كان بمثابة تسليط الضوء على مفاهيم الرواية العربية عامة والرواية الجزائرية على وجه الخصوص، إذ تتبعنا فيه نشأة هذا اللون في مهده الغربي و كيف انتقل الى الساحة الفكرية العربية.

الفصل الثالث: فصل تطبيقي تتبعنا فيه صورة اليهودي وتحولاتها في رواية "أنا وحاييم" للروائي "الحبيب السائح"، متطرقة الى الصورة العديدة لليهودي في الجزائر السلبية والايجابية.

الملحق و سيتضمن: تعريفا بالروائي "الحبيب السائح"، و أهم مؤلفاته وكذا الجوائز التي حصل عليها.

خاتمة: أجيبت فيها عن التساؤلات التي تم طرحها في مقدمة هذا البحث.

وقد اعترضت طريقي ككل الباحثين أثناء البحث عدة صعوبات أهمها و أولها الوباء الذي عانى منه العالم بأسره وهو كوفيد19، كذلك رجلة التنقل اليومي التي تزيد عن الساعتين ذهابا فقط للوصول الى الجامعة، ثم إن هذه الموضوع تحديدا لم يتم تناوله بكثرة من قبل الدارسين و الباحثين الجزائريين مما صعب علينا عملية الحصول على المراجع .

ولا يسعني بعد هذا التقديم إلا أن أتقدم بجزيل الشكر لأستاذي المشرف عبد الرحمان تبرماسين الذي نمت بذرة بحثي على يديه و ارتوت من رحيق صبره، أتوجه بجزيل الشكر للجنة المناقشة على ما بذلوه لإثراء وتقويم هذا الموضوع.

الفصل الأول

المبحث الأول: الخلفية التاريخية ليهود الجزائر.

يتكون المجتمع الجزائري من عناصر بشرية مختلفة تنوعت أصولها وعقائدها وثقافتها، فقد كان فيها أهل البلاد الأصلين و الوافدين الجدد من الرومان والبزنطيين والوندال العرب والأتراك. لقد تكونت اليهودية بالجزائر نتيجة عدة هجرات إليها وإلى غاية اليوم لم تخصص لها دراسات كثيرة، نظرا لعدم وجود مصادر ومعلومات مما يضطر المؤرخ إلى اللجوء لفرضيات أو التفكير بالقياس عما يعرفه عن البلدان المجاورة.

أولا: الهجرة اليهودية إلى الجزائر.

سجل التاريخ منذ القدم توافد اليهود إلى شمال إفريقيا فإستقرو بالمركز التجارية التي أنشأها الفينيقيين على السواحل، حيث استمرت هجرة اليهود عبر مراحل تاريخه بصورة غير منتظمة.

1. الهجرات القديمة

اختلف المؤرخون حول تاريخ هجرة الجماعات اليهودية الأولى إلى الجزائر، فمنهم من يرى بأنها تعود إلى ثلاثة آلاف عاما أي منذ أن رست السفن التجارية في سواحل شمال إفريقيا، و السند في ذلك يعود إلى الأساطير والروايات الشفوية حيث لا يوجد الآثار المادية التاريخية وما يدعمها في ذلك[1].

وقد حاول بعض المؤرخين تحديد بداية الوجود اليهودي بشمال إفريقيا إلى حوالي الألف الأولى قبل الميلاد، إذ ارتبط ذلك بالحملات التجارية الفينيقية التي شملت سواحل الضفة الجنوبية لما يسمى اليوم بالبحر المتوسط مع نهاية القرن الثاني عشر قبل الميلاد[2].

وأقاموا فيها بشكل دائم حتى بعد تأسيس قرطاجة ويرى آخرون أن بداية التواجد اليهودي في

1- احمد سميح، **تاريخ جماعات اليهود و اليهودية في إفريقيا في العصر الحديث رؤية تاريخية جديدة**، مكتبة الانجلو المصرية، 2014، ص71.

2 - Eisenbeth Mourice, **Le Judaisme nord Africaine**, études démographiques, in 8 braham constantine et bulletin annuel de la société archéologique de Constantine, 1931, p 06- 07.

شمال إفريقيا بدأ في عهد مملكة إسرائيل الموحدة (992 –1000ق.م)، واستمر هذا التوافد حتى بعد انقسام المملكة وهذا في ركاب الفينيقيين وبأعداد محدودة جدا، ولذلك فإن هذا التواجد إن ثبت لم يلعب دورا فعالا في المنطقة[1].

وينفي البعض هذا الرأي باعتبار أن اليهود في العهد الفينيقي لم يكونوا مستقرين منها بشكل دائم، فقد كانوا يمارسون التجارة كغيرهم ثم يعودون إلى المناطق التي قدموا منها أي (الشرق الأدنى)[2].

واتضحت الهجرة اليهودية إلى شمال إفريقيا بعد حملة "نبوخذ نصر"سنة 586ق.م على بيت المقدس، فتوجه على إثرها عدد من اليهود إلى مصر ومنهم من قصد شمال إفريقيا وحسب اليهودي فلافيوس جوزيف أنه خلال غزو بطليموس الأول للقدس 320 ق.م نقل معه مائة ألف يهودي إلى مصر، ومن هناك إلى ليبيا والى البلدان الأخرى بشمال إفريقيا[3].

على الرغم من التضييق الديني الذي مورس على اليهود في شمال إفريقيا أثناء العهد الروماني إلا أنهم كانوا يتمتعون في المقابل بحرية تامة في ممارسة نشاطاتهم الاقتصادية كالزراعة والصناعة، و كانوا يحتكرون التجارة[4]، و بعد أن خضع شمال إفريقيا للوندال، في هذا العهد لم تتناول المصادر التاريخية هجرة اليهود إلى شمال إفريقيا[5].

1– أحمد الشحات هيكل، **يهود المغرب تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية**، سلسلة الدارسات الدينية التاريخية، جامعة القاهرة،2007، ص12.

2– كمال بن صحراوي، **الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات**، مذكرة ماجستير، قسم العلوم الاجتماعية، تخصص تاريخ و اثأر، جامعة معسكر، 2007– 2008، ص13.

3- Aissa Chenouf, **Les Juifs d'Algérie 2000 ans d'existence**, Editions El Maarifa, Alger, T1, 2008, p 24- 25 .

4– فاطمة بوعمامة، **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7و 8هـ الموافق لـ 14و15م**، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011، ص 16.

5– مسعود كواتي، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**، دار هومة، الجزائر،2009، ص15.

في العهد البيزنطي، تقلص عدد اليهود خاصة أثناء حكم "جستنيان"[1]، إذ تدخلت السلطات البيزنطية في شؤون اليهود مما أدى إلى نزوح عدد كبير منهم نحو "اسبانيا" بينما نزح آخرون إلى "إيطاليا"، وتوجه آخرون نحو المناطق الداخلية خاصة الصحراء فرارا من قمع واضطهاد الإمبراطور "جستنيا" الذي استعمل الشدة والقسوة وقام بتحويل معابد اليهود إلي كنائس[2].

وفي نهاية القرن السادس الميلادي قلت مضايقات البيزنطيين تجاه اليهود خاصة في عهد الإمبراطور موريس (602 -582م) الذي عرف بحكمته وحسن سيرته فأحبه شعبه نظرا لعدالة هذا الإمبراطور فألغى بعض القوانين التي كانت تطبق على اليهود وقام بإرجاع المعابد التي صودرت لأصحابها.[3]

ولما دخل الإسلام شمال إفريقيا عام (21هـ/ 642م) أصبحت تعرف هذه المنطقة ببلاد المغرب الإسلامي، كما أصبح اليهود جزءا من هذا المجتمع، أي أن العرب الفاتحين وجدوا اليهود يعيشون في بلاد المغرب ومندمجين مع أهل البلاد ويمارسون أعمالهم بكل حرية[4].

كما استمرت هجرات اليهود إلى المغرب والدليل على ذلك ما أشار إليه اليهود في كتاباتهم، كما ذُكر أن "عقبة ابن نافع"(50هـ/671م) لما أسس مدينة القيروان (49هـ/669م) جلب معه ألف عائلة قبطية ويهودية.[5]

1- محمود سعيد عمران، **الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها**، دار النهضة العربية، بيروت،2008، ص 20-30.

2- Michel Ansky, **Les Juifs d'Algérie du Décret créneaux à la libération**, édition du centre, Paris, 2011, p 03.

3- فاطمة بوعمامة، **المرجع السابق**، ص 27.

4- عبد الرحمان بشير، **اليهود في المغرب العربي (22-462هـ/642-1070م)**، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، القاهرة، 2009، ص 33.

5 -Eisenbeth Mourice, **Op- Cit**, p 14- 15.

المبادئ الإسلامية الداعية إلى المعاملة الحسنة لأهل الكتاب كانت خير حافز لليهود ولوجودهم في تلك المنطقة، فالمسلمين لم يجبروا اليهود على ترك ديانتهم واعتناق الإسلام، وإنما حفظت حقوقهم على أن يلتزموا في المقابل بما أقره الإسلام من جزية يدفعونها للدولة الإسلامية مقابل حمايتها لهم، فتدعم نشاط اليهود التجاري والمهني، وهذا ما دفع الكتاب اليهود إلى مقارنة حالة اليهود تحت الحكم الإسلامي بأوضاعهم السيئة في أوروبا بهذه العبارة: "إنهم كانوا أكثر سعادة في أرض الإسلام منهم في أغلب بلدان أوروبا، حيث كانوا يتعرضون لأبشع الأحقاد".[1]

ورغم كل ما قيل عن اضطهاد اليهود في المجتمع الإسلامي في شمال إفريقيا، فإن الإسلام في شمال إفريقيا قد كفل لهم حرية تنظيم علاقاتهم الداخلية تحت رئاسة زعماء الطائفة في إيطار حقوق أهل الذمة، حيث تمكنوا من مناولة شعائرهم، وتعليمهم، ونشاطاتهم الاقتصادية بحرية تامة، ورغم أن المطلوب منهم لم يكن إلا دفع الجزية والتقيد بضوابط المجتمع، فإنهم كثيرا ما تهربوا من دفعها،وقد صار لليهود حق التواجد بالجزائر دون معارضة لا من السكان ولا من أنظمة الحكم التي تعاقبت على البلاد منذ الفتح الإسلامي، وصار هؤلاء اليهود يعرفون باليهود الأهالي "التوشاييم[2]".

تمكن اليهود في الجزائر من مزاولة شعائرهم وتعليمهم ونشاطاتهم بكل حرية مقابل دفع الجزية لكنهم كثيرا ما تهربوا من دفعها وصار لليهود حق التواجد في الجزائر دون معارضة لا من السكان ولا من أنظمة الحكم التي تعاقبت على البلاد منذ الفتح الإسلامي،فأصبح اليهود في كل المدن الجزائرية[3].

1- ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطلقات وآفاق**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، ،2000، ص365-366.

2- نجوى طوبال، **يهود مدينة الجزائر خلال عهد الدايات (1700-1870م) من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، دار الشروق للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 2009، ص61.

3- كمال بن صحراوي، **المرجع السابق**، ص 19.

2. الهجرة الحديثة

ارتبطت صورة اليهودي ما بعد الاستقلال في المخيال الشعبي الجزائري بالمستعمر الفرنسي، وكأن العنصر اليهودي دخيل لم يعرف إلا بوجود الاستعمار، إلا أن التاريخ لا يزال يذكر لنا أن اليهود لم يزالوا من مكونات المجتمعات المغاربية على مر عصور الوجود اليهودي بعد "الشتات".[1]

وبالعودة إلى مصطلح "الشتات"، فالملاحظ أن تناول المصطلح في حد ذاته خضع في استعماله للفكرة الصهيونية والتي تبتعد في واقعيتها عن تاريخ هجرات الجماعات اليهودية، والذي يمكن تفسيره ضمن سياق الهجرات العامة التي تمر بها أي مجموعة بشرية في العالم تتحكم فيها ظروف اقتصادية أو اجتماعية أو حتى مناخية.[2]

حاول اليهود الجزائريون إثبات جدارتهم بالجنسية الفرنسية في مواجهة المنافسة و معاداة السامية. وعلى الرغم من أن قضايا المنافسة و الوضع القانوني، و الهوية، والحقوق خاصة في حالة المستعمرة الفرنسية الجزائرية، قد تعتبر مكللة لدراسات سياقات استعمارية أخرى ودول حديثة النشأة، فان مثل هذه المناقشات بشان المواطنة و الانتماء قد تقع في صلب كثير من الاضطرابات الحاصلة في تاريخ القرن العشرين[3].

تكونت الطائفة اليهودية في الجزائر عبر العصور من ثلاثة عناصر أساسية هي أولا الأهالي الذين احتفظوا بعقيدتهم وكانوا جزائريين يدينون بالولاء لوطنهم الجزائر، وثانيا اليهود الأندلسيون اللذين تعرضوا للاضطهاد الإسباني وهاجروا إلى الجزائر واستقروا فيها وتأقلموا مع أوضاعها. وثالثا اليهود المغامرون الذين هاجروا إلى الجزائر من مختلف المدن الأوربية في أوائل العهد العثماني بحثا عن الثروة والاستغلال التجاري والنفوذ

1- نجوى طوبال، **المرجع السابق**، ص 62.

2- عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، دار الشروق، ط1، القاهرة مصر،1999، ص 102.

3 -Sophie Beth Roberts.- **Citizenship and Antisemitism in French Colonial Algeria 1870-1962** ،Cambridge University Press, 2017, P20.

السياسي، وأبقوا على علاقتهم الوطيدة مع مختلف البلدان الأوربية، ومن أشهر هذه الأسر أسرة "داران" وأسرة "بوشناق" وأسرة "بكري".[1]

حيث أصبح اليهود في الجزائر يحتلون المرتبة الثانية في المجتمع بعد الأوربيين وساعدهم في ذلك بالإضافة إلى الميول الفرنسي إليهم تقبلهم للثقافة الاستعمارية الفرنسية، وبينما اليهود على هذه الحال ظهرت الحركة الصهيونية وانتشرت أفكارها في أوروبا وفي أوساط يهود فرنسا بالذات وعمل دعاتها جاهدين على كسب عطف يهود الجزائر واستمالتهم إلى الفكر الصهيوني.[2]

كان اليهود في الجزائر منظمين في طائفة تسير شؤونها الداخلية بنفسها، إذ يقوم هذا النظام على مؤسسة "الشيخ" أو "مقدم اليهود"، يعين من طرف الحكام المسلمين إلى أنحاء "رشباش" أو " راشباش" اللذان فرضا نظاما جديدا نواته "الحاخام الكبير" ويسير وفق أسس جديدة وبصلاحيات مركزية واسعة مشابهة لما عرفوه بالأندلس، إذ وجد اليهود "التوشابيم" الأهالي يعيشون في جماعات شبه مستقلة عن بعضها بعض، وكانوا يجهلون الكثير من التعاليم اليهودية، وتولى "الميغوارشيم" القواعد الأساسية للتنظيم الداخلي للطائفة اليهودية بمدينة الجزائر عن طريق سن مجموعة من القوانين والتنظيمات التي لم تكن موجودة ولا معروفة قبلا عند اليهود التوشابيم، وكان الهدف من ذلك تنظيم وتحسين الأحوال الثقافية والاجتماعية وتقنين أطر المعاملات ووضع أسس المبادلات الاقتصادية للجماعات.[3]

وكان يرأس الطائفة اليهودية رئيس من الأعيان، والذي يحتكر جميع السلطات والقرارات، وله كل الصلاحيات في تسيير طائفته، مع العلم أنه يعين من طرف الداي، ولكن لا

1- كمال بن الصحراوي، **المرجع السابق**، ص31.

2- يوسف مناصرية :**النشاط الصهيوني في الجزائر 1962-1897م**، ط1، دار البصائر، الجزائر ،2009، ص88.

3- نجوى طوبال، **المرجع السابق**، ص188.

يباشر وظيفته إلا بعد استلامه لفرمان التعيين من قبل السلطان العثماني، كما أن مقدمي اليهود كانوا دائما من الأثرياء وذوي النفوذ[1].

اعتمد يهود الجزائر على مصدرين تشريعيين هما "التوراة" و"التلمود"، و "للتلمود" نفس قداسة "التوراة" رغم أنه من وضع حاخامات، ومن خلاله يمكن التعرف على وضع اليهود. كما انقسم اليهود إلى فرق دينية وأكثرها انتشارا هي فرقة الربانيين، وأتباع هذه الفرقة كان الأكبر لإيمانها "بالتوراة" و"التلمود"، وفي العهد العثماني سنت مصادر أخرى للتشريع وهي "الرِّسبونية"، ونتج عن هذا التطور في العهد العثماني بروز المذاهب الدينية، إذ عملت فئة الأهالي (التوشابيم) بنصوص التوراة والتلمود في حين أن "الميغوارشيم" عملوا "بالرسبونية"[2].

ومن خلال ما تناولناه في هذا المطلب يمكن أن نستنتج أن الجزائر كانت رمزا للحرية والأمن و الاستقرار بالنسبة لليهود إلى حد أنهم شبهوها في أساطيرهم الشعبية بالأرض الموعودة، وكانت تجربتهم بها من أحسن الظروف الحياتية التي عرفوها في العالم، إذ كانت أوروبا تشكل جحيما بالنسبة لهم وهنا يظهر الإشكال واضح، لماذا اليهود على الرغم من كل ما توفر لهم في الجزائر ساعدوا فرنسا على احتلالها؟ وهذا ما سيتم التعرف عليه في.

ثانيا: أهم المناطق التي تمركز فيها اليهود في الجزائر.

تمركزت الجالية اليهودية عند قدومها من الدولة العثمانية باتجاه الجزائر في المدن الكبرى خاصة الشمالية منها، وبأعداد كبيرة.

1. تعداد السكان.

بعد سقوط الأندلس، فرّ الكثير من اليهود والمسلمين إلى بلدان شمال أفريقيا، ومنها الجزائر، واستقروا فيها؛ ويشير حكمت إلى أن عشرات الآلاف من يهود الأندلس توجّهوا إلى الجزائر حيث استقّر عدد منهم في المدن الجزائرية (تلمسان ومعسكر والعاصمة

1- نجوى طوبال، **المرجع السابق**، ص189.

2- فاطمة بوعمامة، **المرجع السابق**، ص 240-241.

وقسنطينة) وعدد آخر من الولايات الشمالية الساحلية، إلا أن عددًا قليلًا منهم ذهب إلى الواحات الصحراوية جنوب الجزائر، وحسب المؤرخ الإسرائيلي حاييم سعدون فالوافدين إلى الجزائر في تلك الفترة يسمون «الميغورشليم» بالعبرية، وتعني المطرودين من إسبانيا.[1]

ظهر أول تقدير لعدد اليهود في الجزائر عام 1851. وقد بلغ عددهم في ذلك الوقت نحو 20,000 نسمة، مقابل مليونين ومائتي ألف مسلم، ووصل عام 1921م نحو 74000 نسمة. وبلغ في عام 1930م نحو 110127 نسمة. وقدر عددهم في عام 1951م نحو 140 ألف نسمة، شكلوا نحو 1,75% من مجموع سكان الجزائر البالغ نحو ثمانية ملايين نسمة، ونحو 12,7% من عدد المستوطنين الأوروبيين البالغ عددهم نحو 920 ألفاً. وهذه الأرقام ليست دقيقة، لأنه يصعب الحصول على إحصاءات رسمية عن عدد اليهود الجزائريين، لأنهم أصبحوا يصنفون ضمن الرعايا الفرنسيين.[2]

غير أن ذلك لم يمنع الأسير الإسباني "هايدو Haedo" من إحصاء 150منزلا يهوديا بمدينة الجزائر، أواخر القرن السادس عشر، أما "فرنسيس نايت ،"Francis Knight" فقد قدر عدد سكان المدينة في منتصف القرن السابع عشر، حوالي 28ألف عائلة، من بينها على الأقل 30ألف يهودي، وفي مصدر أخر انجليزي 13ألف عائلة يهودية، نهاية القرن السابع عشر، ويعتقد أن هذا التقديرات مبالغ فيها، في المقابل قدر شاو عددهم ب 15ألف يهودي مقابل 100ألف مسلم.[3]

أحصى فونتير دي برادي "venture de pardis" في أواخر القرن الثامن عشر، عددهم بحوالي 7 آلاف يهودي مقابل 50ألف مسلم، و عشية الاحتلال بحوالي 5 آلاف يهودي وحددت التقارير الفرنسية عددهم وهو ما مثل نسبة عُشر عدد السكان، وأمام هذه التقديرات والأرقام المتضاربة أحيانا والمبالغ فيها أحيانا أخرى، علقت الباحثة نجوى طوبال

1- صاري علي حكمت، **الإرث التاريخي لسيدي بومدين و الرومي محور النقاش**، نشر في جريدة الجمهورية،الجزائر، يوم 23 -06-2016.

2- خيرية قاسمية، **يهود البلاد العربية، مركز الدراسات الوحدة العربية**، بيروت، 2015، ص120.

3- نجوى طوبال، **المرجع السابق**، ص75.

على هاته الإحصائيات، حيث أرجعت سبب انخفاض أعداد اليهود خلال الفترة مابين 1700، في مدينة الجزائر إلى عوامل عدة كانتشار الأمراض والأوبئة ونزول النكبات كالزلازل.[1]

إلى جانب الظروف الصحية التي ساهمت في تراجع أعداد اليهود، نجد الظروف السياسية التي عاشتها البلاد كان لها أثرها في تقهقر أعداد اليهود، ومن العوامل الأخرى التي ساهمت في تدني أعداد اليهود الثورة التي حدثت ضدهم في 1805م، حيث جعلت كثيرا منهم يغادرون البلاد، كما حدث مع 200عائلة يهودية هاجرت إلى ليفورن، ومنها عائلتي بكري وبوشناق، اللتان فرتا على متن سفينة سويدية، في حين هاجرت 100عائلة إلى تونس.[2]

2. المناطق التي استقر فيها اليهود.

لقد استوطن اليهود في مختلف المدن الجزائرية لاسيما المدن الساحلية و المدن ذات التبادل التجاري ، كما أنهم تميزوا قليلا بأحيائهم الشعبية ومدارسهم وبيعهم ومهنهم التي كانت لا تخرج عن المتاجرة في الذهب والفضة وكل ما تعلق بالتجارة الربحية.[3]

تحكم في توزيع اليهود عدة عوامل، منها سياسية كتوفر الأمن ، واقتصادية كالبحث في تنمية ثرواتهم، أو تاريخية يعود إلى استقرارهم قديما بالمنطقة، وعموما نجد أن أغلب سكان اليهود في المدن الكبرى خاصة مدينة الجزائر، و قسنطينة، ووهران، وبنسب أقل في عنابة، و مستغانم و بجاية وتلمسان و ندرومة ومعسكر[4]

1- نجوى طوبال، **المرجع نفسه**، ص47.

2- كمال بن صحراوي، **المرجع السابق**، ص28.

3- عبد القادر كركار، **الطائفة اليهودية في الجزائر 1830-1900التجنيس وردود الفعل**، مذكرة الماجستير في التاريخ المعاصر، تخصص تاريخ العلاقات بين ضفتي البحر المتوسط الغربي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، ص2008،ص31.

4- عبد الرحمان نواصر، **مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكاساتها على علاقات البلدين في أواخر عهد الدايات**، مذكرة شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، المركز الجامعي غرداية، 2011م، ص55.

يعود تاريخ وجود اليهود بالجزائر العاصمة إلى فترة إفريقيا الرومانية، حينما كانت تعرف الجزائر باسم ايكوزيوم، فهذا المكان لم يكن بعد سوى ميناء صغير محصن ذو سكان قلائل وحسب ما يبدو فان اليهود لم يقيموا بها سوى في القرن الثالث.[1]

ففي نهاية القرن الحادي عشر. بعد الأحداث المناوئة لليهود سنة 1391 بمدينتي اراغون و قشتالة لجا الكثير من اليهود إلى المغرب الأوسط فرارا من الاضطهاد المسيحي باسبانيا.

ومنذ هذه الفترة كان الانشطار الذي ميز عن طريق الهيئة و اللباس بين الميوراشيم (اليهود اللاجئين القادمين من اسبانيا) والتوشافيم أو بالأحرى اليهود العرب. ففي الجزائر المدينة يضع الميغوراشيم على رؤوسهم برنيطة بينما بلف التوشافيم رؤوسهم بلحاف من القماش و استمر هذا التمايز ضمن تقليد حافظت عليه بعض العائلات اليهودية بمدينة الجزائر إلى غاية القرن الرابع عشر[2].

فقد تمركز اليهود في المنطقة السفلى من المدينة، وبصفة خاصة خول قصر الداي بنسبة، 67.7% و هي من أهم المناطق التي أقام بها اليهود، أما المنطقة الثانية فهي القريبة من باب الوادي حيث توجد بيعة اليهود الكبرى وكانت توجد أحياء خاصة باليهود تعرف بحارة اليهود.[3]

كذلك استقر اليهود في مدينة بجاية –عاصمة الحماديين– من جهة كونها عاصمة لسلطة بني حماد، واليهود معروفين برغبتهم في التقرب والعيش بجوار السلطة.

ومن جهة أخرى تعتبر محل التجار القادمين من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب وفي هذه القلعة ولد أحد علماء اليهود الذي ذاع صيته في شمال إفريقيا

1– عيسى شنوف، **يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود**، دار المعرفة، الجزائر، 2000، ص39.

2– عيسى شنوف، **المرجع نفسه**، ص 40–41.

3– عبد الوهاب المسيري، **المرجع السابق**، ص 111.

والأندلس، يدعى" إسحاق الفاسي"، وأحد رجال الدين اليهودي المدعو "أبراهام القلعي" والقلعي نسبة إلى قلعة بني حماد.[1]

وفي عام 1145 عند استيلاء الأسرة الحاكمة للموحدين على وهران التي وحدت تمت سيطرتها على المغرب بكامله يذكر المؤرخ العربي ابن بيداق انه وقعت أزمة عدم تسامح ديني بوهران، فقد قرر الموحدون فرض الإسلام على كل الذميين(المحميين) المقيمين بممتلكاتهم، فمنع اليهود من التصرف وفق هويتهم علنا[2].

أما في وهران وقبل 1830م وحتى يتمكن من إعادة تعمير المدينة وجه الداي محمد الكبير نداء للسكان المسلمين و اليهود الذين جاؤوا من كل فج عميق (من مستغانم ومعسكر و ندرومة و تلمسان). فباع بثمن زهيد موقعا سيستقبل الحي اليهودي على طوال السور الشرقي بأعلى المدينة، حتى يتمكن اليهود من بناء منازلهم بأنفسهم، وتنازل لهم كذلك (مجانا) عن قطعة ارض لإقامة مقبرتهم.

فسجل عام 1792 ميلادي جالية يهودية جديدة بوهران لن تعرف لا الاجتثاث ولا النفي قبل تاريخ 1962.[3]

1- عبد الرحمن بشير، **المرجع السابق**، ص64.

2- عيسى شنوف، **المرجع السابق**، ص48.

3- عيسى شنوف،**المرجع نفسه**، ص55.

المبحث الثاني: النشاطات اليهودية في الجزائر

حاول اليهود الجزائريون إثبات جدارتهم في كافة النشاطات، لاسيما في المجال الاقتصادي الذي له علاقة بالتجارة. فاحتكروا السمسرة و أعمال المصارف و الصيرفة،وصناعة الذهب و الفضة وتحكموا في دواليب التجارة الجزائرية منذ العهد العثماني إلى غاية ما بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر،ولعل الأسرة اليهودية الوحيدة التي كانت تتميز بطموح اقتصادي واسع هي لتاجران بوشناق وبكري.

أولا: النشاط التجاري و المالي لليهود في الجزائر.

كان اليهود أصحاب خبرة في المجال المالي والتجاري فقد ساهموا مساهمة كبرى في إنعاش وتنشيط التجارة الداخلية و الخارجية في الجزائر من خلال تحقيق مداخيل للخزينة العمومية.

1. أهم النشاطات الاقتصادية

يمكن التمييز بين نوعين من النشاطات الاقتصادية الأولى الصنائع والحرف والثانية النشطات المالية.[1]

1.1الصياغة والعطارة

احتكر اليهود صناعة المجوهرات وضرب العملة في مدينة الجزائر. وكانت لهم حوانيت يبيعون فيها الأقمشة والخردوات بالتجزئة، وكان بعضهم يبيع نفس الأشياء في الطرقات كباعة متجولين. من اليهود اشتغل بالخياطة، ومنهم من كان يسافر تاجرا إلى تونس و جربة و عنابة و طرابلس و قسنطينة ووهران و تلمسان و تطوان و فاس، ومنهم من كان يصل حتى إلى القسطنطينية.[2]

إن حرفة الصياغة من أكثر الحرف تعقيدا ودقة وجلب للمال والثروة و كذلك الربح المضمون، وقد اختص اليهود بممارستها واحتكار سوقها ومواردها، وبذلك سيطروا على

1- نجوى طوبال، **المرجع السابق**، ص160.

2- دييغو دي هايدو، **(طوبوغرافيا الجزائر و تاريخها العام)**، المجلة الإفريقية، العدد15،الجزائر، يونيو 1996، ص90-91.

جميع الحرف التي لها علاقة بالمعادن النفسية كالذهب والفضة و الأحجار الكريمة و النادرة، ولان اليهود يعشقون المال وكل ماله علاقة بالثروة فقد احتكروا هذا المجال. وهذا ما ركزت عليه الدكتورة عائشة غطاس في بحثها عن الصاغة اليهود وقد توصلت من خلال حصولها على وثائق تاريخية تؤكد أن هذا المجال كان حكرا على اليهود في الفترة الممتدة مابين 1700الى غاية1830 وما بعدا،، كما أثبتت وجود سوق لصناعة الجواهر خاص باليهود عرف" بصاغة اليهود" في الثلث الأول من القرن السابع عشر.

وبرزت هذه السيطرة بشكل واضح بعد توافد الطائفة الليفورنية إلى مدينة الجزائر إذ تضاءلت الصناعة المحلية التي تهتم بصناعة الذهب و الفضة وأصبح ممارستها من قبل أهل المنطقة أمرا نادر.[1]

كما وصف" راهبندر" الجماعة اليهودية بمدينة الجزائر في القرن الثامن عشر، بقوله" نجد أن اليهود كانوا يمارسون الحرف التي تتصل بالمعادن الثمينة، لاسيما منها التي تتعلق بالذهب والفضة، وكانت ورشاتهم لمزاولة هذه الصناعة تقع بالقريب من قصر الداي في زقاق ضيق ووسخ، بالإضافة إلى أن معظمهم من يعمل في سك العملة".[2]

ومن أشهر الصائغين الذي ذكرتهم الباحثة نجوى طوبال في دراستها فيما بين الفترة 1661-1827م على النحو الآتي: [3]

- الصائغ شالومر بن يوسف وليد ..... عام 1770م.
- الصائغ يعقوب بن شالومو..... عام 1798م.
- الصائغ مردخاي بن دابيد ..... عام 1802م.
- الصائغ سعدية بن حاييم زيزه..... عام 1809م.

1- عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، 1700-1830مقاربة اجتماعية اقتصادية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر1، 2001، ص 38.

2- محمد دادة، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ليهود الجزائر في الفترة العثمانية**، عصور الجديدة، العدد10، جويلية 2013م، ص 165.

3- نجوى طوبال، **المرجع السابق**، ص 154.

العطارة أيضا كانت من بين أكثر الحرف امتهانا من قبل اليهود فقد كان في الجزائر العاصمة سوق خاص بالعطارين "سوق العطارين"، وكان في الجانب المقابل سوق آخر خاص بالعطارين اليهود وأطلق عليه اسم " سوق عطارة اليهود".كما يوجد محلات أخرى في غير هاذين السوقين مثل:محل لبيع العطرية بسوق الخراطين ومحلات العكارين اليهود الواقعة بسوق الحاشية، وأغلب من تفننوا في ممارسة هذه الحرفة من يهود القادمين من ليفورن.

ومن بين أهم العطارين اليهود نجد: [1]

- العطار هارون بن جورنو..... عام 1748م.
- العطار المعلم يعقوب بن شلومو شريك..... عام 1756م.
- العطار موشي بن تتول..... عام 1775م.
- العطار الياه بن دابيد ليبي بلنسي ..... عام 1798م.

2.1 الخياطة وصناعة الحرير

مارس اليهود مهنة الحياكة والخياطة بشكل نشيط في القرن السابع ميلادي، يقول "ابن خلدون" في حديثه عن صناعة الحياكة و الخياطة و الطرز: بان هاتان الصناعتان ضروريتان في العمران لما يحتاج إليه البشر.[2]

القزازة هم المشتغلون بصناعة الحرير والمنتجات الحريرية الرفيعة مثل الحواشي وخيوط الحرير والخياطة والطرز كانت من أهم الصنائع التي أتقنها اليهود رجالا و نساء وازدهرت الخياطة في قسنطينة، إضافة إلي ذلك بعض الحرف كصناعة الزجاج ومقايض البنادق، و بالصيد البحري والمرجان، وبذلك نجد أن اليهود اشتغل بمختلف المدن الجزائرية في الشمال وفي الجنوب كغرداية و تقرت.[3]

1- نجوى طوبال، **المرجع نفسه**، ص155-156.

2- عبد الرحمان بن خلدون، **المقدمة**، ضبط المتن ووضح الحواشي. خليل شحادة, دار الفكر للنشر والتوزيع، لبنان، 2001 م، ص501-502.

3- نجوى طوبال، **المرجع السابق**، ص 267.

وقد ذكرت نجوى طوبال أسماء بعض الخياطين على سبيل المثال: الذمي حاييم الخياط والذمي عمران الخياط بن مييير، والذمي إبراهيم التونسي الخياط بن إسحاق بن عزره والذمي مردخاي.[1]

وأما بالنسبة للحومات التي انتشر فيها اليهود وامتهنوا مهنة الخياطة، نذكر حومة الرحبة القديمة، حيث كانت حرفة الخياطة أكثر الحرف تمثيًلا بالنسبة لليهود في هذه الحومة حيث كان نصف الحرفيين المالكين بهذه الرحبة القديمة من الخياطين اليهود.[2]

2. أهم النشاطات المالية

النشاطات المالية و نعني بها كل نشاط له علاقة بالأموال والتجارة والتسويق ومن بين هذه النشاطات تلك المتعمقة بالمعاملات النقدية كتبديل العملة والسمسرة.

ولقد كان تأثير اليهود الاقتصادي كبير ولعل ما يكشف عن توغل اليهود في شؤون الجزائر هو رقابتهم لأنواع العملة الداخلة إلى خزينة الدولة، فقد كانوا في العهد العثماني هم الذين يزينونها ويفحصونها ويحكمون بزيفها أو أصالتها سواء كانت ذهبية أو فضية ومن ثمة كانوا على علم بكميتها وقيمتها في الصعود والهبوط.[3]

ويذكر سعد الله نقلا عن" أرانـد" أن اليهود في هذا المجال كانوا ينصبون طاولات في الشوارع و يبدلون العملة وأنهم كانوا يربحون من ذلك أموال كبيرة وأن ذلك شاع بينهم كما شاع غش العملة[4].

1.تجارة العبيد و افتداء الأسرى.

مارس اليهود هذه المهنة باحترافية فقد كانت لهم ميولهم لكل ما يتعلق بالمال أو الذهب و قد عملوا في التجارة و المضاربة و الربا و الصيرفة، و أطلق عليهم يهود الفرنك أي les

1- نجوى طوبال، **المرجع نفسه**، ص 252.

2- عائشة غطاس، **المرجع السابق**، ص 393.

3- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، دار عالم المعرفة، ط1، الجزائر،2009، ص159.

4- عبد القادر كركار، **المرجع السابق**، ص 32.

juifs franc وعملوا في تجارة الرقيق بالاتصال المباشر بدومه توسكانيا و تربحوا ثروات كثيرة خاصة في تجارة العبيد و الزيت و الشموع وكانوا يملكون السفن اللازمة للقيام بعمليات القرصنة ضد المسيحيين بواسطة المسلمين، و كانوا يتربحون أيضا من بيع الأسرى وقد احتكروا تجارة العبيد بامتلاك السفن و المال اللازم للشراء و افتداء الأسرى في عمليات محسوبة ومن رواد اليهود الليفورنيين سليمان جاكت –بكري– بوشناق، لوسادا و الفرنجة و بنيامين زوكرتو و إسحاق سليمتن و إبراهيم يوشعرا و اليعازرا سفورنو و رفائيل يوشعدا. [1]

يعتبر افتداء الأسرى من المهن التي مارسها اليهود في الجزائر، وجنوا من وراءها ثروة كبيرة، وساعدهم في ذلك عوامل كثيرة منها: معرفتهم الواسعة باللغات السائدة، وعلاقاتهم التقليدية مع مختلف البلدان، وقربهم من الجهات الحاكمة، ووجود عدد كبير من الأسرى في مختلف الجهات في الجزائر، وذلك كون هذه الأخيرة كانت في حروب مع الدول الأوروبية، إضافة إلى ذلك فدية الأسير عادة ما تكون

لها فائدة كبيرة وخوف أهل الأسير من عدم وصول المال إلى الجهات المالكة للأسير والاحتفاظ بها، ولذا تولى اليهود الوساطة المالية؛ وأولوا ذلك عناية خاصة لكثرة عوائدها.[2] وكان العبد لا يطلق سراحه إلا بعد أن تدفع قيمة الفدية وحتى إن وصل الأسير لقيمة تلك الفدية ليعود إلى أهله سالما فإنه تحيط هذه العملية صعوبات كبيرة في إيصال الأموال لأصحابها الحقيقيون، لأن إرسال الفدية إلى العبد أو إلى سيده يعترضه الكثير من الخطر وخوفا أيضا من هذا الأخير الذي ربما يحتفظ بالأسير ومبلغ الفدية معا.[3]

2.النقود و العملة

كانت ممارسة هذه الحرفة (سك العملة) تضرب بدار النقود، التي تعرف عادة بدار السكة الواقعة بالقرب من قصر الداي، غير بعيدة عن جامع كتشاوة، ثم اختار لها الداي علي

1– احمد سميح، **المرجع السابق**، ص184.

2– كمال بن صحراوي، **المرجع السابق**، ص80.

3– محمد دادة، **المرجع السابق** ، ص 22.

خوجة سنة 1817م مقَّار بالقصبة ملحقًا بالخزينة العامة، واختص اليهود في هذه الحرفة تحت مراقبة أمين السكة، وتم تحديد مرتباتهم طردًيا على حساب الكمية الناتجة، فمثلا يأخذون 400 صائمة عن القنطار.[1]

ولم يقتصر استخدام اليهود في مجال العملة على الخزينة فقط، وإنما كان الأهالي يستعينون بهم في عقد الصفقات واستلام أثمانها نقدًيا للوقوع، ضحية التعامل بالنقود المزورة التي كثر تداولها في نهاية العهد العثماني[2].

وبعد الاستعمار الفرنسي للجزائر حولت فرنسا منح المزيد من الامتيازات لليهود على حساب الشعب الجزائري فجاء قرار التجنيس.

وفي فترة وجيزة من صدور قرار التجنيس ورغم نسبتهم الضعيفة إلى عدد السكان الأوروبيين أو إلى عدد السكان الإجمالي ،احتل اليهود مكانة متميزة في الجهاز المصرفي الكولونيالي بالجزائر وفي مالية البلاد بصفة عامة وفي فترة محدودة قياسية .وحتى قبل قانون كريميو ،كانت عدة شخصيات يهودية قد عينة على رأس عدة مناصب سامية في هذا القطاع ، فقد كان "ألفريد آلفندري" إطارا إداريا كبيرا شغل

منصب المحافظ لبنك الجزائر منذ، 1862وللقرض العقاري منذ تأسيسه في1869 و لمؤسسات أخرى بعد صدور قانون كريميو من بينها المستشفى المدني مصطفى[3].

ثانيا: النشاط السياسي اليهودي في الجزائر.

ساهم مرسوم كريميو خاصة بعد عام 1870م في عملية فرنسة يهود الجزائر كما غير في بنيتهم الاجتماعية الحضرية، وكان أيضا وسيلة لاضطهاد الجزائريين.

1- ناصر الدين سعيدوني، **لنظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1792-1830م)**، البصائر للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 2012م، ص179.

2- المنور مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد التركي العملة والأسعار والمداخيل**، ج1، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص67.

3- فوزي سعد الله ، **يهود الجزائر موعد الرحيل** ، ج 2 ، دار الأمة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، سنة2010، ص66.

1. علاقة اليهود بموظفي الدولة.

بلغ نفوذ اليهود مبلغ القدرة في توجيه سياسات الجزائر و اقتصادها، وكان لهم الباع الطويل في تعيين موظفي الدولة الساميين، وعقد الاتفاقيات مع الخارج و التفاوض مع الدول الأجنبية.[1]

تعود أولى الاتصالات بين أسرة بوشناق و دايات الجزائر إلى عهد عبدي باشا، ففي عام 1727م، تعاقدت معه شراء بعض المعدات الحربية لحساب الإيالة. وبدأ تقرب أسرتي بوشناق وبكري من الدايات يزداد تدريجيا حتى أصبح نفوذهما قويا في كل المجالات الحيوية.[2]

إن تدخل اليهوديين بكري و بوشناق ابن ازهوت و بوجناح في نظام الحكم العثماني للجزائريين كان له أسوأ الأثر في تدهور هذا النظام وسقوطه والذي انتهى أخيرا إلى الاحتلال الفرنسي، وان تسليط الأضواء للتعرف على التدخل اليهودي في الحكم يبرز لنا بجلاء حقيقة الدور الذي أداه هذان اليهوديان اللذان أثريا على حساب الأمة وتدخلا في شؤون البلاد فباتا وكأنهما الآمران والناهيان، حتى لقب أحدهما بملك الجزائريين وهو بوشناق الذي يعرف باسمه المستعرب نفطالي بوجناح، ويذكر في مصادر أخرى ببوشناق و بوسناش من أسرة ذات مركز تجاري في مدينة ليفورن بإيطاليا، قدمت إلى الجزائريين عام 1723كانت بدايتها التجارية متواضعة، وسبب ثروة بوجناح الطائلة يعود أساسا إلى التعفن الاجتماعي الذي شاع أيام حكم العثمانيين في الجزائريين.[3]

إن التدخل اليهودي في شؤون الإدارة الجزائرية لم يكن وليد الصدفة، بل كان أمرا مبيتا يستهدف امتصاص دماء الشعب و ابتزاز خيراته، إذ كان هدف عزل البايات وكبار الموظفين ترمي لأن تجعل خزينة الداي تعج بالأموال الطائلة، فقد جرت العادة أن تصادر

1- سمير نور الدين دردورة، **ملحمة الجزائر شرح تاريخي لإرادة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكريا**، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، 2018، ص 89.

2- بسام العسلي، **المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي** 1830-1838)م،) دار النفائس، بيروت، 1980م، ص176-177.

3- محمد زروال، **العلاقات الجزائرية الفرنسية 1830 -1791**، مطبعة دحلب، الجزائر، ص 43.

أملاك كل باي يعزل من منصبه أو يوقف عن العمل وبهذه الوسيلة يصرف اليهود الداي عن مطالبتهم بدفع ما كانوا يجمعونه من ثروات[1]

إن ممارسة اليهود لهذه الوظائف ليس بالأمر الغريب ولكن الخطر يكمن فيما يترتب عنه من دخول اليهود إلى القصر ومعرفة العملة وهي من أسرار الدولة، ولما صارت في أيدي اليهود استغلوها لتثبيت نفوذهم لدى الدايات، ولذلك كتب فيربو انه حينما أصبح بوشناق مستشارا للداي صارت خزينة القصبة تحت تصرفه فأحسن استغلالها لصالحه.[2]

2. **امتيازات اليهود في المجال القضائي.**

يصف E.MAINZ النظام القضائي الطائفي اليهودي في كتابه يهود الجزائر تحت الحكم التركي Les Juifs D'Alger sou la domination Turque بالعبارات التالية: " كانت السلطة القضائية خاضعة هي الأخرى للمقدم (أي رئيس الطائفة)، و كانت مطبقة بتفويض من محكمة حاخاميه تتألف من ثلاثة قضاة. وتذمر اليهود كثيرا بحق أو بغير حق

من تحيز وظلم المحاكم ألحاخاميه. وعلى أية حال، فان اليهود فضلوا في كثير من الأحيان أن يتوجهوا الى المحاكم الإسلامية، غير أن بعضهم رأى في ذلك عصيانا دينيا و خيانة.[3]

كانت لليهود إذن محاكمهم الخاصة المستقلة عن السلطة الإسلامية، حيث تسير وفق قوانينها الخاصة. لكن نظم القضاء لم تكن موحدة إذ تميزت كل مدينة بتشريعها الخاص، وأبرز هذه التشريعات تشريع وهران، تشريع قشتالة الذي أدخله الوافدين من الأندلس و اسبانيا الى بعض المدن، وتشريع مدينة الجزائر الذي وضعه ريباش و الذي كان الأكثر شيوعا. هذا الأخير مشتق من التشريع السابق مع بعض التعديلات و الإضافات. كما وجد تشريع آخر هو ذلك الذي عرف باسم صاحبه: يهوذا عياش وقد ألفه سنة 1740م.

1- محمد زروال، **المرجع نفسه**، ص 29-30.

2- كمال صحراوي ، **المرجع السابق** ، ص 64.

3- محمد دادة، **المرجع السابق**، ص60.

ومع ذلك كانت الفتاوى و الاستشارات الفقهية متبادلة بين مختلف المناطق، ولو أن الفتاوى القادمة من مدينة الجزائر كانت الأكثر كاريسماتية.[1]

حالات الإجرام و المسائل الجنائية عامة، و القضايا المتعلقة بالسياسة و امن الدولة وكل ما قد يحدث ضررا بالمسلمين كانت كلها من صلاحيات المحاكم الإسلامية العثمانية كالقتل و السرقة، و قطع الطريق، و الزنا، و الاعتداء على الديانة الإسلامية....الخ.[2]

الكتاب و المؤرخون الذين درسوا أو عايشوا يهود الجزائر في العهد العثماني يجمعون على تعفن النظام القضائي اليهودي لاعتماده على الرشوة "...الرشوة و الاستبداد ..."[3]

و يوافقهم في هذا الحكم حتى بعض الكتاب اليهود. ولا يمكن تفسير هذا الفساد و التعفن بالرداءة و الانحلال اللذين سادوا و ميزا العهد العثماني في الجزائر، لأن القضاء الإسلامي آنذاك رغم فساد النظام السياسي في المرحلة الأخيرة من الحكم العثماني كان قضاء عادلا نسبيا يتميز بمستوى أخلاقي عالي بشهادة اليهود أنفسهم. و يكفي للتدليل على ذلك انه كان ملجأ لكل يهودي مظلوم بين أهله و أولي أمره[4].

المبحث الثالث: أوضاع اليهود في الجزائر قبل وبعد الاحتلال الفرنسي.

عهد الدايات لم يكن العهد المثالي، فقد كان مليئا بالثورات و المؤامرات و استحواذ اليهود على جانب مهم من الاقتصاد الجزائري ، فقد كانت فترة ابعد ما تكون عن الاستقرار فحكمهم لم يكن يستمر طويلا، إلا أن الداي محمد بن عثمان باشا حقق الاستثناء في الفترة الممتدة من سنة (1766-1791)، حيث عرفت الجزائر في ظل حكمه استقرارا نسبيا وذلك بالتعاون مع كل من الباي محمد الكبير وصالح باي قسنطينة.

أولا: اليهود وعلاقاتهم بقضية ديون الجزائر مع فرنسا.

كان لليهود الحضور الدائم و القوي في العلاقات السياسية و الاقتصادية للجزائر، خاصة في أواخر القرن 18م ومطلع القرن 20م، وعند تناولنا لموضوع دور اليهود في احتلال فرنسا للجزائر يفرض علينا تناول قصة اليهوديين بكري و بوشناق و الدور الفعال الذي

1- فوزي سعد الله، **المرجع السابق**، ص187.

2- فوزي سعد الله، **المرجع نفسه**، ص 188.

3- محمد دادة، **المرجع السابق**، ص61.

4- فوزي سعد الله، **المرجع السابق**، ص 188.

كان لهما في إسقاط نظام الحكم العثماني والذي أفضى إلي النكبة العظمى وهي دخول فرنسا للجزائر سنة 1830م كمحتل.

1. مسألة بكري و بوشناق.

استولى اليهود على مقاليد التجارة الداخلية والخارجية، وأصبحت شركة بكري و بوشناق التجارية تتحكم في ثلثي التجارة، وكانت هي من تحدد الأسعار بصورة تعسفية اعتباطية

وازداد نفوذ اليهود في عهد الدايين حسن (1798-1791م) ومصطفى باشا (1798-1805م)، واستغلوا التجارة لخدمة مصالحهم بالدرجة الأولى، واستطاعوا بفضل ذكائهم أن يكسبوا إلى جانبهم العديد من الشخصيات ذات الوزن الثقيل، سواء عن طريق الرشوة أو تقديم الخدمات ،5بالإضافة إلى ذلك فإنهم كانوا ماهرين في تسويق البضائع ومخادعة رجال الجمار[1].

فبعد تأسيس الشركة سنة 1793م، تكفل بوشناق بشؤونها السياسية و علاقاتها الخارجية، و تكفل بكري بإدارة شؤونها الداخلية، فنجحت نجاحا مذهلا بتزويد فرنسا بالحبوب الجزائرية لمدة 5 سنوات (1793-1798) بناء على عقد مع فرنسا، فصارت في هذه الفترة القصيرة أهم الشركات اليهودية

الليفورنية والجزائرية على السواء، ولا أدل على هذه القوة و النفوذ من أنها توسطت في إقراض الداي حسين لفرنسا مبلغ 5 مليون فرنك لتواجه الأزمة الناتجة عن الثورة الفرنسية.[2]

بداية أصبح بكري صاحب مركز كبير وثروة واسعة وتحول إلى وسيط تجاري لبيع غنائم البحارة و الرياس الجزائريين وكون لنفسه علاقات خاصة مع معظم يهود أوروبا الذين يشتغلون بالتجارة وحتى الدايات الذين يحصلون على خمس غنائم البحر يتولى هو بيع

1- حنيفي هلايلي، **العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة (1815-1830) م**، دار الهدى، الجزائر،2007م، ص46.

2- فوزي سعد الله، **المرجع السابق**، ص189-187.

بضائعهم في أسواق المدينة للأوروبيين و الجزائريين وعندما تضخمت أعماله التجارية و توسعت اشترك معه اليهودي بوشناق وكونا معا شركة[1].

أما" نفطالي بوشناق أو بوجناح" فجاءت أسرته من ليفورن، وبعدما أقامت مدة في ماهون خلال سنة 1722ن رحلت إلى مدينة الجزائر في السنة التالية 1723 و كانت معدومة لا تملك قوت اليوم، فبادر رئيسها إلى العمل لسد الرمق عند بعض التجار تدريجيا و زادت ثروتها و ارتفع مستوى علاقاتها الاجتماعية، حيث كان بين الشخصيات التي ارتبط بها الباي مصطفى الوزناجي باي التيطري (1779-1795).

وقد كانت مصاهرة نفطالي بوشناق حفيد الأسرة بكري الثرية أكبر صفقة قامت بها عائلته لأنها سوف تدفعه بقوة الى مواجهة أحداث إثر تحالف العائلتين تجاريا و اشتراك نفطالي الحفيد مع صهره بكري في تأسيس شركة قوية يشترك فيها الدهاء السياسي، و العلاقات السياسية المتينة معا لسلطة الجزائرية والبلدان الأجنبية.

المصاهرة أنهت المنافسة بين العائلتين على التجارة، منذ أن زفت بنت مشال كوهين بكري إلى ابن نفطالي بوشناق، وذلك قبل أن يزوج نفطالي أخته الصغيرة "عزيزة " في وقت إلى "دافي" ابن "جوزيف بكري" وتطور الارتباط الاجتماعي بالمصاهرة الى ارتباط تجاري، بحيث دخل نفطالي وبوشناق كشريك في مؤسسة الأخوة "بكري" و "بوشناق".[2]

تمكنت الشركة من احتكار تجارة الحبوب في مختلف أنحاء البلاد، خاصة الإقليم الشرقي منه، وبدأت تصدر منتجاتها إلى مرسيليا منذ سنة 1793م، مع العلم أن شركة بكري و بوشناق ليست الوحيدة

1- يحي, بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى القرن20م**، دار البصائر، الجزائر2، 2009، ص 263-264.

2- فوزي سعد الله، **المرجع السابق**، ص 275-280.

التي يصل من خلالها قمح الجزائر إلى فرنسا فهناك الوكالة الإفريقية، شركة رافاييل الفرنسية إلى جانب بعض التجار اليهود والتجار الصغار الجزائريين كحسن أغا و الرايس محمد بن سليمان، وقد تعرضت الوكالة الإفريقية لمنافسة شديدة من طرف الشركة اليهودية، منذ مطلع القرن 19م، هذه الأخيرة أصبحت تحظى بتأييد الحكومة الجزائرية لها، وتمتعها بحماية باي قسنطينة مصطفى الوزناجي، وتمكنت الشركة من فرض نفسها في أوروبا بتعيين ممثلين لها في الموانئ المتوسطية، ويعود الفضل إلى "بوشناق" الذي كان كما قال "اسكر"،Esquer يسالم من يشاء ويعلن الحرب ضد من أراد، إلى درجة أنه لقب بملك الجزائر، وتوصل إلى إرساء بعض المسؤولين على المرافق التجارية في باريس.[1]

تزامن ظهور هذه الشركة مع بداية ضعف الدولة الجزائرية العثمانية السياسي والعسكري وشيوع الفوضى الاضطرابات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت تمزقها من الداخل وبداية التحولات الإستراتيجية في حوض المتوسط متمثلة في بروز الدول الأوروبية كقوة جديدة صاعدة متفوقة مجمعة على ضرورة وضع حد للخطر الجزائرية على منها أ واقتصادها.[2]

2. بدايات مسألة الديون.

إن قضيَّة تصدير الحبوب إلى فرنسا و المؤامرة ضد الجزائر ظهرت في عهد الداي محمد عثمان باشا (1766-1791) دون علمه بذلك، حيث تمكن اليهوديان نفتالي (بوجناح) و يوسف بوخريص (بوشناق) من الحصول على إذن من الخزناجي حسن بتصدير الحبوب

1- حنفي هلايلي، **المرجع السابق**، ص 46-47.

2- فوزي سعد الله، **المرجع السابق**، ص 189.

الى فرنسا التي كانت في مسغبة اثر حوادث الثورة الفرنسية؛ وذلك لتنتهي بعد 40 سنة باحتلال الجزائر[1].

بعد أن صدر بكري كميات هائلة من القمح الجزائري الى فرنسا طالب بتسديد ما صدره منذ عهد الثورة الفرنسية، و قيمته 24 مليون فرنك، وهو ما بين محضر اللجنة التي شكلها الملك الفرنسي لويس فيليب لهذا الغرض، وبعد مفاوضات انزل المبلغ الى 7 ملايين أبرم أتفاق في شانها، أمضاه ملك فرنسا يوم28 أكتوبر 1819م، وصوت عليه مجلس النواب الفرنسي يوم 24 جويلية 1820م، ينص على تسديد تلك الديون الديون خلال سنة ابتداء من غرة مارس 1820م لشركة بكري بوشناق، و لكن التسديد تأخر لحاجة في نفس يعقوب فلجا بكري الى المكر ليضغط على الدولة الجزائرية، فاستدان من خزينتها مبالغ هامة تمثل قيمة كمية من الصوف اشتراها من الدولة، و قرر تسديدها من ديونه على فرنسا، و بلغ الدي بذلك.[2]

ولكن عددا معتبرا من دائنيه اعترضوا على طريقة الدفع مما جعل القضية تتعقد، و بذلك فقد اجبر بكري الدولة على التدخل لدى فرنسا للمطالبة بتسديد ديونه باعتباره جزائريا، وفي هذه المرحلة تقرب بكري من قنصل فرنسا في الجزائر دوفال.[3]

بعد أن تم تقرب بكري من القنصل الفرنسي دوفال، و في أثناء عدم تسديد فرنسا لديونه و استدانته من الخزينة ليضغط على الدي و مطالبة دائنيه بتسديد ديونهم، و مطالبة فرنسا بتسديد ديونه ليسدد منها؛ تقرب بكري من دوفال، وأعطاه مبلغا هاما نقدا، ووعده برشوة كبيرة أن ساعده في تحصيل ديونه من فرنسا، و لكن القضية لم تسو مما جعل ضغوط دائني بكري تزداد على الداي حسين فاضطره ذلك إلي مراسلة فرنسا مطالبا بالتسديد

1- احمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791)**، د ط، م و ك، الجزائر، 1986م، ص55-56.

2- حمدان خوجة، **المرآة**، ترجمة: محمد العربي الزبيري، ط2، ش و ن ت، الجزائر، 1982م، ص 149.

3- حمدان خوجة،**المرجع نفسه**، ص 150.

باعتبار بكري مواطنا جزائريا و حاخام اليهود مما يوجب حمايته، إضافة إلي ديونه تجاه الخزينة[1].

وكانت مراسلته لها بواسطة القنصل الفرنسي دوفال الذي وعد انه سيحضر له المبلغ المترتب على بكري لفائدة الخزينة الجزائرية. وعلى الرغم من أن الداي سلم له البرقية التي طلبها منه، فانه اخلف وعده فاضطر الداي إلي إرسال برقيات أخرى، و لكن فرنسا لم ترد عليها، لأنها لم تصلها؛ لأن دوفال أخفاها عنده ناويا الاستحواذ على تلك الأموال.[2]

فنفد صبر الداي لعدم رد فرنسا عن تلك البرقيات، ولاسيما أنها كانت تعبر عن احتجاجه على تدخل فرنسا السافر في الشؤون الجزائرية كتشكيل لجنة فرنسية محضة لتخفيض الديون الجزائرية عليها، و تقرير تقليصها من 24 مليون الى 7 ملايين دون استشارة الجزائر، و حجر المحاكم الفرنسية على بعض هذه الديون بحجة أنها لدائني بكري الفرنسيين، وبناء مبان جديدة في القالة و ملئها بالأسلحة و الذخيرة، وكل هذا يعد خرقا للاتفاقيات المبرمة بين البلدين.

إن ما سبق جعل الداي يتيقن بأن أمواله و جميع حقوق دولته ضاعت فيما بين تسويفات الحكومة الفرنسية، و مخادعة وزيرها "تاليران" و دسائس الشركة اليهودية، و حظوة مندوبها بباريس (نيقولا بليفيل) و تلاعب القنصل الفرنسي (دوفال).[3]

فلما قدم دوفال لتهنئته بعيد الفطر سأله بعد الحفل: لماذا لم تجبه حكومته عن برقياته العديدة الخاصة بما سبق، أجابه دوفال بوقاحة قائلا: « إن حكومتي لا تتنازل لإجابة رجل مثلكم»، وتم هذا أمام الديوان فأحس الداي باهانته فغضب وضربه ضربة واحدة

1- حمدان خوجة، **المرجع نفسه، ص 178.**

2- احمد توفيق المدني، **المرجع السابق،** ص 164.

3- عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام،** ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج3، ص335.

بمروحة من سعف النخيل، فعرض دوفال الحادثة بطريقة مهولة ليبرر بها وقاحته مع الداي[1].

وهذا ما كانت تبحث عنه فرنسا بعد أن سيست مسألة الديون، و اتخذت منها وسيلة لتعكير صفو العلاقات، بل تصفية حساباتها الاستعمارية التوسعية مما جعل المسألة غير قابلة للحل حسب الشروط التي وضعتها فرنسا، مما أدى الى القطيعة بين البلدين وتقرير فرنسا إعلان الحرب ضد الجزائر[2].

وقد أدرك الداي حسين خطورة ضلوع اليهود في هذه القضية، لكن يبدو أن هذا الإدراك جاء متأخرا[3].

ثانيا: سياسية فرنسا تجاه يهود الجزائر.

عندما دخلت فرنسا للجزائر قامت بانتهاج سياسة خاصة للتفرقة بين اليهود والجزائريين، التفرقة من حيث الدين ومن حيث السياسة.

1. التنظيم الطائفي ليهود الجزائر.

كان التنظيم الطائفي اليهودي يقوم على مؤسسة "الشيخ" أو "مقدم اليهود" الذي يعينه الحكام المسلمون و يسير طائفته في إطار استقلالية داخلية، الى أن جاء ريباش و راشباش اللذان فرضا نظاما جديدا نواته "الحاخام الكبير" (Le Grand Rabbin)، و يسير وفق أسس جديدة و بصلاحيات مركزية واسعة طبقا للعادات القشتالية و الكتلونية اليهودية. هذا النظام الجديد عرف توسعا كبيرا بمرور الزمن على حساب النظام القديم

1- حمدان خوجة، **المرجع السابق**، ص179-181.

2- عبد الرحمان نواصر، **المرجع السابق**، ص 125.

3- كمال بن صحرواي، **المرجع السابق**، ص121.

وخلق في البداية ازدواجية تنظيمية إلي أن تم تقليص مساحة سريان نظام " الشيخ" وحصره في الأرياف و المناطق النائية و الصحراء[1].

وقد عبر شالر عن ذلك بقوله: " ومنصب رئيس الطائفة اليهودية إنما عليه بالرشوة و التآمر وهو يمارس وظيفته بقمع و اضطهاد يساوي ما ينفعه من المال و الجهد للاحتفاظ به، و تتمثل مهام رئيس الطائفة اليهودية في:[2]

- الدفاع عن مصالح اليهود و حقوقهم.
- تسيير و إدارة الطائفة.
- تعيين القضاة
- الإشراف على المواد المالية للطائفة اليهودية.

وفي سنة 16 نوفمبر 1830م، اصدر الفرنسيون قرار يقضي بتعيين احد أبناء عائلة بكري اليهودية في منصب رئيس الأمة اليهودية، هذا المنصب الذي كان يمثل " المقدم" لكن نتيجة استغلال زعيم واحد لهذا المنصب ألغي وبعد مضي ثمانية أشهر تم اختيار رئيس الطائفة من بين ثلث المرشحين لمدة عام واحد قابل للتجديد، ويتم عرضهم على القائد العام.

إن هذا النفوذ الكبير والصلاحيات الواسعة و المطلقة التي تعطيها المؤسسة الحاخامية لرئيس الطائفة كانا سببا مباشرا في انحراف العديد من رؤساء الطائفة المتعاقبين عن مسؤولياتهم و استغلالهم الرهيب لليهود من اجل أغراض ومصالح مادية شخصية دفعت في العديد من الحالات إلي التظلم و الشكوى منهم لدى الدايات.[3]

محمد دادة يذكر في هذا السياق بان رئيس الطائفة "...كان يمارس وظيفته بجور واستبداد، و كانت تحت تصرفه شرطة المدينة (مدينة الجزائر وغيرها)، التي كانت...

1- فوزي سعد الله، **المرجع السابق**، ص181.

2- كريمة عجال، **يهود الجزائر و دورهم في تسهيل عملية الاحتلال**، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2101-2108م، ص 27.

3- فوزي سعد الله ،**المرجع نفسه**، ص 184.

(تعاقب وتقمع وتحبس الخارجين عن طاعته) وحتى من لم يرقه تصرفهم لا غير، و الجدير بالذكر انه كان يملك سجنا في مسكنه الخاص..."[1]

2. التنظيم السياسي الفرنسي لليهود.

- **مرسوم كريميو.**

هذا المرسوم هو ثمرة جهود طويلة يقدر عمرها بالعقود، انطلاقا بداية من أربعينيات القرن 19م، وبقيت نقطتها الحاسمة عند اشتعال الحرب الألمانية – الفرنسية في 1870م، اليهودية العالمية و الماسونية لم يكونا بعيدين عن صنع و نسج ، أو استغلال الظروف التاريخية السائدة لتوظيفها لصالحها.

الظروف التي أصدر فيها مرسوم كريميو هي ظروف حرب و اضطرابات و غموض و مؤتمرات سياسية غير بريئة مازال يكتنفها الغموض، كما قوبل هذا المرسوم. بنقمة شعبية و معارضة سياسية واسعة كادت تحدث أزمة سياسية كبيرة بفرنسا، وهذا معناه أن أحداث وتحركات غير عادية سبقت وتلت ميلاد مرسوم كريميو.[2]

أصدر كريميو في 24أكتوبر 1870مرسوما قضى بتطبيق قانون المواطنة الفرنسية على يهود الجزائر. ونجح كريميو الذي كان قد دعاة بإلغاء الحكم العسكري في الجزائر و في تطبيق هذا القانون خاصة بعد أن اشتغل حالة الطوارئ التي كانت سائدة أنذلك في فرنسا، التي كانت تتيح للحكومة فرصة تنفيذ القوانين دون الحصول على تطبيق البرلمان، ورأى كريميو في هذا الحين أن قيامه بتطبيق هذا القانون يعد مكسبا حقيقيا لفرنسا فكان يؤمن أن حصول أربعين ألف يهودي جزائري على الجنسية الفرنسية يعد بمنزلة تعويض مناسب لبلاده التي فقدت أثناء حربها مع ألمانيا مقاطعتي إلزاس و اللورين.[3]

1- محمد دادة، **المرجع السابق**، ص 57.

2- فوزي سعد الله ، **المرجع السابق**، ص33.

3- محمد الوكيل ، **تاريخ اليهود في القارة الإفريقية**، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، سنة 2008، 161-162.

تجمع المراجع التاريخية على تخوف يهود الجزائر من المرسوم الذي منح لهم حق المواطنة الفرنسية، حيث يذكر أبو القاسم انه لم يرحب كل اليهود بإصدار هذا المرسوم، الذي لم يستشاروا فيه.[1]

لقد أثار إصدار قانون كريميو سخط الجزائريين، وذلك لأنهم رأو في الطائفة اليهودية التي كانت تعتبر في الماضي محتقرة، تصبح بفعل هذا المرسوم أعلى درجة منهم، وتساهم في الحياة السياسية.[2]

1- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج6 ، **المرجع السابق**، ص398.

2- صلاح العقاد:**الجزائر المعاصرة (محاضرات)**، معهد الدراسات العربية،مطبعة الرسالة، ط1، 1964، ص11.

الفصل الثاني

المبحث الأول: الرواية

تعتبر الرواية إحدى الأجناس الأدبية التي اهتم بها الباحثون و النقاد بالدراسة والنقد لأنها أخذت مكانة مهمة بين الفنون الأدبية الأخرى، كما أن لها تأثيرا كبير على المجتمع، حيث تتحدث عن المواقف و التجارب البشرية في زمان و مكان معين،لاستخلاص العبر أو لخلق عالم خاص بعيد الأفق للقراء، والرواية الجزائرية لم تخرج عن هذا الإطار.

أولا: ماهية الرواية نشأتها وتطورها.

تتخذ الرواية لنفسها ألف وجه، وترتدي في هيئتها ألف رداء «و تتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل، مما يعسر تعريفها تعريفا جامعا مانعا، وذلك لأننا نلفي الرواية تشترك مع الأجناس الأخرى في كثير من الخصائص»[1].

1. مفهوم الرواية.

أ. **لغة:** يتحدد المفهوم اللغوي للرواية بالعودة الى ما أوردته المعاجم اللغوية فقد ورد في لسان العرب " لابن منظور" أنها مشتقة من الفعل " **روى**"، «ال ابن السكيت: يقال رويت القوم أرويهم أذا استسقيت لهم، ويقال من أين ريتكم ؟[2]».

وقال غيره الرواء الحبل الذي يروى به على الرواية إذ عكمت المزادتان. يقال: رويت على الرواية أروي ريا فانا راو إذا شددت عليهما الرواء، ويجمع الرواء أروية، و يقال له المروى، وجمعه مراو و مراوي. ورجل رواء إذا كان الاستفتاء بالرواية له صناعة، يقال: جاء رواء القوم. وفي الحديث: انه يسمى السحاب روايا البلاد، الروايا من الإبل: الحوامل للماء، واحدتها رواية، فشبهها بها، وبه سميت المزادة رواية، وقيل بالعكس. وفي حديث بدر: فإذا هو بروايا قريش أي: إبلهم التي كانوا يستقون عليها. وتروى القوم ورووا: تزودوا بالماء. و يوم التروية: يوم قبل يوم عرفة وهو الثامن من ذي الحجة، سمي به لأن الحجاج يترووون فيه

[1]– عبد الملك مرتاض، **في نظرية الأدب**، عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، 1998، ص11.

[2]– ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق عامر أحمد، المج 7، دار الكتب العلمية، ط 1،2003، ص208.

مـن المـاء وينهضـون الـى منـى ولا مـاء بهـا فيتـزودون ريهـم مـن المـاء أي: يسـقون و يستسقون.وفي حديث ابن عمر: كان يلبي بالحج يوم التروية[1]»

وجاء في " القاموس المحيط" أيضا الرواية مشتقة من الفعل " روى" يقال : « روى الحديث، يروي رواية و ترواه[2]»

ويُقال: «روى فلان فلانا شعرا إذا رواه له حتى حفظه للرواية عنه، قال الجوهري: رويت الحديث و الشعر تروية أي حملته على راويته، وتقول انشد القصيدة يا هذا، ولا تقل اروها إلا أن تأمره بروايتها،أي باستظهارها[3]».

ب. اصطلاحا: توجهت التعريفات اللغوية لمادة روى إلى معنى "السقاية" أو "الرواية" وهي نقل الحديث. فما هو معناها اصطلاحا؟

عُرِّفت الرواية اصطلاحاً بأنها: « نص نثري تخيّلي سرديّ واقعيّ غالباً، يدور حول شخصيات متورطة في حدث مهم، وهي تمثيل الحياة و التجربة واكتساب المعرفة. فالرواية تصور الشخصيات وظائفها داخل النص وعلاقتها فيما بينها وسعيها الى غايتها ونجاحها أو إخفاقها في السعي[4]».

وعرفها عبد الملك مرتاض : « تتخذ الرواية لنفسها ألف وجه، وترتدي في هيئتها ألف رداء، و تتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل، مما يعسر تعريفها تعريفا جامعا مانعا[5]».

وذهب "ميخائيل باختين الى أن الرواية تحتوي على مختلف الأجناس التعبيرية فنجده يقول: «إن الرواية تسمح بان تدخل الى كيانها جميع الأجناس التعبيرية سواء كانت أدبية (قصص،

---

[1]– ابن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، مادة (ر و ى)، دار صادر، بيروت، ط1، 1997،ص271.

[2]– الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ص1290.

[3]– لسان العرب، **المرجع السابق**، ص1786.

[4]– لطفي زيتوني، **معجم مصطلحات نقد الرواية " عربي، انكليزي، فرنسي"**، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان،2002، ص99.

[5]– عبد الملك مرتاض، **المرجع السابق**، ص 11.

الشعار، مقاطع كوميدية) أو خارج المجال الأدبي (دراسات سلوكية، نصوص علمية، أو أدبية...)، فان أي جنس تعبيري يمكنه أن يدخل الى بنية الرواية ، وليس من السهل العثور على جنس تعبيري واحد لم يسبق له في يوم ما أن ألحقه كاتب أو آخر بالرواية[1]».

الرواية في منظور "باختين" هي جنس أدبي له خاصية الانفتاح على مختلف الأجناس الأدبية الأخرى ما يجعها أكثر تنوعا و ثراء وتميز عن باقي الفنون.

وهناك من يرى « أن الرواية ما هي إلا حكاية لها صياغة وحبكة فنية، بداخلها أحداث وأبطال أو شخوص ومتن تقدم بطريقة فيها سبك وحبك ويلعب منطق السببية فيها دورا هاما للوصول إلى خاتمة[2]». من خلال هذا التعريف يتضح أن الرواية تنقسم بين الشخوص و الأحداث و الزمن و المشاهد الروائية و السببية و المنطقية التي تحيل عبر التسلسل الذهني من المقدمة الى خاتمة.

2.نشأة الرواية وتطورها في الأدب العربي.

يستوقف الدارس لمسار الرواية العربية منذ إرهاصاتها الأولى مدى اختلاف الباحثين والمفكرين حول ظهورها، حيث أثير جدل حول البداية الحقيقية لظهور الرواية على مستوى الوطن العربي.

لقد ظهرت الرواية العربية ونشأت تحت ظروف وعوامل كان لتلك العوامل المؤثر الأساسي الذي ساهم في تطور الجنس الروائي. لذا فقد أرجع النقاد والكتاب نشأة الرواية العربية إلى عاملين أساسين من بينها: العامل الأول: يتمثل في التأثر بالغرب من خلال الاحتكاك بالتيارات الاتجاهات المختلفة هذا من جهة ومن جهة أخرى التأثير في الأقطار العربية الشرقية والغربية. أما العامل الثاني:فيتمثل من خلال الاتجاه القومي العربي وتحديد الإرهاصات الأولى للرواية العربية. فقد حضت الرواية العربية باهتمام العلماء والباحثين

[1]– ميخائيل باختين، **الخطاب الروائي**، تر: محمد برادة، دار الفكر، القاهر ، 1978، ص77.

[2]– عبد المفتاح عثمان، **بناء الرواية دراسة في الرواية المصرية**، ط1، مكتبة الشباب،القاهرة، مصر 1982، ص11.

نظراً لتأثرها بالتراث العربي القديم ومحاكاتها لأسلوب المقامة، وقد مثلت أهم المعطيات الثقافية نظراً لظروف تتصل بالثقافة والأدباء نفسهم. [1]

وقد غلب على النص الروائي الاستخدام الكمي للمعلومات حيث تراوح أسلوبها وطغي عليه الخيال والعاطفة. كما قد ظهر في هذه الفترة أعمال روائية اهتمت بالعادات والتقاليد وإحياء جوانب من التاريخ من بينهم"جرجي زيدان،و"علي الجارم"،"شاعر مالك"،"سيدة القصور"،"محمد سعيد العريان"،وحيدر ابن الملوك" ثم تبعتها انتاجات أخرى نسجت على النمط والأسلوب التقليدي القديم من بينها المقامة،الساق على الساق "لفارس شدياق" ومجمع البحرين "لليازجي." وحديث "عيسى بن هشام للمويلحي".

لقد نشأت الرواية العربية تحت ظروف وعوامل دفعت بها دفعا قوياً نحو الأمام وذلك منذ أوائل القرن التاسع عشر من نشأة الطبقة الوسطى وبداية التحول نحو الرأسمالية من خلال الارتباط بالاتجاه القومي ومن خلال الحكايات والسير الشعبية والوقائع التاريخية والمقامات، وقد ظهرت هذه الرؤية عند "مبارك"و"المويلحي" و"حافظ" التي تجلت معالمها وبدأت طريقها نحو التغير وقد اتسمت بمراعاة الذوق الشعبي حيث اتخذت من التاريخ مادة لها استطاعت الرواية العربية أن تخطوا خطوات التقدم والتطور واتساع نطاقها على يد فئة من الكتاب،أمثال جبران خليل جبران" و"أمين الريحاني." فقد ساهمت معظم هذه الأعمال في تطور الرواية. [2]

وتجدر الإشارة إلى أن الرواية العربية قد تأخر ظهورها مقارنة بالشعر والقصة ذلك نظرا للتحولات والعوامل المختلفة التي طرأت على العمل الأدبي فالرواية تتفتح مسامها وتبحث أريجها في وسط مجتمع يتطلع ويتحرق للتغيير وهذا ما يعلل وجود أسماء بارزة في القصة وندرتها في الرواية العربية، قبل فترة الخمسينات.

[1]– السعيد الورقين، **اتجاهات الرواية العربية المعاصرة**، دار المعرفة الجامعة ، مصر ، 1992، ص16.

[2]– سعيد الورقين، **المرجع السابق**، ص41.

ولكن بمجيء فترة الستينات تغيرت الملامح الروائية وبدأت معالمها تبرز إلى الوجود واعتبرت بذلك فترة النصح والوعي بقضايا الوطن. ونفس الشيء ينطبق في الرواية في المغرب العربي حيث لا نجد أو نلمح ذلك التأثر بالرواية الشرقية ولا نلطفه وجود السمات الفنية للعمل الأدبي وقد يتجلى ذلك إلا فترة الستينات عند "عبد المجيد بن جلول" و"محمد التهامي"حيث اهتمت الأعمال الروائية بالجانب الأخلاقي وعالجت مختلف القضايا والإشكاليات التي تعرض لها الوطن العربي من بين الاستعمار وجعلته الموضوع السيئ الذي تستمد منه مضامينه. [1]

نشأت الرواية العربية وتحددت سماتها كفن متميز في فترة الستينات على يد "نجيب محفوظ"ودفع بها دفعة قوية إلى الأمام وفتح أفاقا واسعة نحو التطور واستطاع أن يؤسس للرواية العربية وبداية مرحلة جديدة ظهرت على أثره اتجاهات عدة من بينها الاتجاه الرومانسي حيث استلهم أحداثه من المجتمع ويظم أثر هذا الاتجاه في من الكتاب أمثال"محمد حسين هيكل" و"توفيق الحكيم" وطه حسين"إلى جانب هذا الاتجاه الذي يعني بقضايا المجتمع نجد الرواية التاريخية حيث استقى رموزه من التراث العربي نجده في أعمال"جورجي زيدان" و"علي الجارم" و"نجيب محفوظ"

وقد استطاعت أصوات روائية أن تحظى بالكثير من الاهتمام مثل "نجيب محفوظ" و"يوسف إدريس" و"خامنيه" و"جبر إبراهيم جبر" و"عبد الرحمن منيف" و"إبراهيم إسحاق." لقد استطاعت الرؤية الواقعية أن تبث سهامها وتسيطر على النتاج الروائي العربي،وقد شكلت ما يسمى بالواقعية التقليدية وهي واقعية نقدية تهتم بنقد المجتمع بهدف الإصلاح والتقدم من خلال النماذج الإنسانية وبعض القضايا بالواقع،وقد تحددت سماتها من خلال اقتباس بعض تقاليد الحكم العربي القديم أو تصوير المواقع المحلي والأحياء الشعبية وتفوق الوعي الإيديولوجي على الوعي الجمالي.

[1]– محمد صالح الجابرى، **طلائع القصة والرواية**، مجلة الثقافة، العدد18، 2008، ص87.

إن الرواية العربية بعد أن تأسست بشكلها التقليدي وحاولت التخلص من الأطر التقليدية المسيطرة عليها آنذاك أخذت ملامحها لتطور على يد كبار الروائيين وحاولت استيعاب التحولات التي حدثت لذلك اهتمت بالصراع الطبقي والقضايا السياسية واندرجت بذلك تحت الطابع الواقعي واعتمد على مبادئ وأسس يقيم عليها معياره ظهرت على أثره اتجاهات وتراث عنيفة ودعت في مجملها إلى التحرر. [1]

ثانيا: الرواية بين التصور الغربي و العربي

تعتبر الرواية العربية ثمرة من ثمرات اتصال المثقفين العرب بحضارة الغرب، وهي أكثر الفنون الأدبية طرحاً ونقاشاً لقضية الغرب في عمق الثقافة العربية الحديثة، وقد اتخذ حضور الغرب في الرواية العربية أشكالاً من الصراع، والنفور، والإعجاب، والولع بالآخر (الغرب) الذي أصبح يسكننا ويحضر فينا.

1.الرواية في التصور الغرب.

ارتبط مصطلح الرواية بظهور وسيطرة الطبقة الوسطى في المجتمع الأوربي في القرن الثامن عشر،احتلت هذه الطبقة محل الإقطاع الذي تميز أفراده بالمحافظة و المثالية والعجائبية، وعلى العكس من ذلك فقد اهتمت الطبقة البرجوازية بالواقع و المغامرات الفردية، وصور الأدب هذه الأمور المستحدثة بشكل حديث اصطلح الأدباء على تسميته بالرواية الفنية في حين أطلقوا اسم الرواية غير الفنية على المراحل السابقة لهذا العصر وترتبط الرواية الفنية من ناحية موضوعاتها و مضامينها بالمجتمع فما هي إلا انعكاس للواقع، و هو ما يؤكده هذا الطرح " لعبد المحسن طه بدر": السمة البارزة للرواية الفنية انكبابها على الواقع، وعليه فالرواية تبدأ في أوربا منذ القرن الثامن عشر حاملة رسالة جديدة هي التعبير عن روح العصر، والحديث عن خصائص الإنسان، وهناك من يعتبر رواية "دونكيشوت" "Don Qouichotte"لـ"سرفانتس" أول رواية فنية في أوربا كونها تعتمد على المغامرة و الفردية.[2]

[1]– محمد صالح الجابري، **المرجع السابق**، ص89.

[2]– عبد المحسن طه بدر، **تطور الرواية العربية الحديثة في مصر** ، دار المعارف ، مصر ، د ت، ص193.

والرواية وليدة الطبقة البرجوازية وهي البديل عن الملحمة و في هذا الصدد يقول"رمضان بسطاويشي" : «ولذلك اعتبر "هيجل" (Heigl) الرواية ملحمة العصر الحديث. وانطلاقا من مفاهيم "هيجل" تمكن " جورج لوكا(Georg Lukac) موضع نظرية متكاملة، حاول من خلالها أن يؤكد على المعيارين الجمالي و التاريخي في مفهوم الرواية ، و هذا ما يتضح في قوله : « فهيجل حين يقول بأن الرواية عبارة عن ملحمة برجوازية إنما يطرح في الوقت المسألة الجمالية و التاريخية« يتضح من خلال هذا القول أن الناحية الجمالية تكمن في احتواء الرواية على بعض العناصر الجمالية في الملحمة ، و من الناحية التاريخية فإن إرهاصات الرواية ترتبط ببروز و صعود الطبقة البرجوازية في المجتمع الأوربي. [1]

إّن " جورج لوكاتش" في معرض حديثه عن الرواية و الملحمة يتناول الجانبين ، جانب المضمون وجانب الشكل المتمثل في اللغة النثرية بالنسبة للرواية ، وفي ربطه بين المرحلة التاريخية وصفات الرواية يميز" جورج لوكاتش" بين ثلاثة أنماط للرواية الغربية انطلاقا من العلاقة بين البطل و العالم ثم أضاف نمطا رابعا، وهذه الأنماط هي[2]:

– الرواية المثالية التجريدية : وتتميز بنشاط البطل ،وضيق العالم مثل رواية" دونكيشوت".

– الرواية النفسية: ويحدث فيها انفصال بين الذات و العالم الخارجي إذ يهتم فيها البطل بنفسه.

– أما النمط الثالث فيقع وسطا بين النمطين السابقين، فإذا كان النوع الأول يمثل انقطاعا أو تعارضا بين الذات والعالم الخارجي ، والثاني يمثل انفصالا، فإن الصنف الثالث يمثل مصالحة بين الذات الداخلية و الواقع الخارجي

– أما النمط الرابع الذي أضافه " لوكاتش" فيشير إلى التطور الذي عرفته الرواية ،ذلك أنها في الربع الأول من هذا القرن عرفت تغيي ار في مركز الثقل ،فلم تعد الشخصية مكيفة بواسطة العقدة الروائية ،يقول " لوسيان غولدمان(Lucien Goldmann) : من هنا هذا النزوع في الرواية المعاصرة إلى إهمال الاتفاق الروائي المحض أعني بطل الرواية فقد تصدعت هذه الشخصية في الأدب الحديث ورقت. [3]

1– رمضان بسطاويشي، **نظرية الرواية لدى لوكاتش**، مجلة الأقلام، العدد12، 2017.

2– جورش لوكاتش، **الرواية**، ترجمة مرزاق بقطاش، المؤسسة الوطني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010، ص13.

3– جورش لوكاتش، **المرجع نفسه**، ص13.

2.الرواية في التصور العربي.

يظهر لنا أن الرواية العربية في نتاجها ذات أصول غربية نقلت إلينا عن طريق الترجمة و الاحتكاك بالأدب الغربي.

و ترى" عزيزة مريدن" أنه: يعود ظهور الرواية إلى عاملين أساسين هما: الصحافة والترجمة فقد نشر" سليم البستاني" في مجلة الجنان التي أنشأها والده المعلم" بطرس البستاني "روايات عديدة منذ 1870منها (الهيام في جنان الشام) وكان له الفضل في شق الطريق أمام عدد كبير من الكتاب، وقد كان لإنشاء المجلات أثر كبيرا في رواج فن الرواية ومن أشهر المجلات (المشرق و الهلال) وجاء بعد" سليم البستاني" و"جورجي زيدان " فكان له الفضل منذ أواخر القرن التاسع عشر حتى عام 1914. [1]

والرواية العربية كغيرها من الأجناس الأدبية مرت بمراحل حتى وصلت إلى ما هي عليه من تطور وتنوع، فمرحلة التأسيس و التجنيس منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى بداية الأربعينات من القرن العشرين. وتعد سنة 1870، كبداية ظهور النصوص الروائية و أغلب النصوص الروائية ظهرت في بلاد الشام خاصة سوريا، ومصر حيث ظهرت المحاولات الأولى على يد" جورجي زيدان" ولكن النصوص التي عملت على تأسيس عناصر الرواية العربية وتستجيب لمقومات الشكل الروائي أهمها: (زينب) " لمحمد حسين هيكل" سنة 1914، والأجنحة المنكسرة "لجبران خليل جبران".[2]

وبعد مرحلة التأسيس تأتي المرحلة الواقعية التي تمتد من الأربعينات من القرن العشرين إلى السبعينات، لازمت هذي المرحلة مع الاستقلال من الاستعمار بداية التحرر وبناء الدولة الوطنية، حيث انتقل الصراع من صراع خارجي مع المستعمر إلى صراع داخلي اجتماعي بين طبقات الاجتماعية، ومن ثمة امتداد الخلافات السياسية، وارتباط الأدب بالتعبير عن القضايا الاجتماعية والإيديولوجية، واتجاه الرواية إلى تصوير أسباب الخيبة والتقاط أصوات التمرد، وعرفت هذه المرحلة الأعمال الأولى " لنجيب محفوظ" و"حنامينة "، " جبرا إبراهيم

1- أحمد سيد محمد، **الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب**، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1989،ص23.

2-عزيزة مريدن، **القصة والرواية**، المطبعة الجامعية للنشر والتوزيع، الجزائر،1971، ص76-77.

جبرا" و " غسان كنفاني"و"غائب طعمة" و" يوسف إدريس"، وفي هذي المرحلة تهيمن صورة " نجيب محفوظ" بسبب غزارة إنتاجه و تطويره للكتابة الواقعية. [1]

ثم تأتي مرحلة التجريب و التجريد ، منذ السبعينيات حيث خطت الرواية العربية مسارا مختلفا للواقعية سمته التجريب ، حيث اتجه الروائيون إلى التخلص من الشكل لواقعي بتجريب أشكال روائية جديدة ، بحيث تحولت بوصلة الرواية من المجتمع نحو الذات ، و أصبح الروائي واعيا بالبناء الجمالي للشكل الروائي أكثر من اهتمامه بجانب المضمون ، ومن أهم الأسماء التي برزت في هذه المرحلة نذكرها منها ": جمال الغيطاني" ، "طيب صالح" ،" جبرا إبراهيم جبرا"[2]

نخلص أّن الرواية العربية تمحورت في ظهورها بين أدب غربي و أدب موروث ويمكننا القول أن الرواية الغربية و العربية شكلت بؤرة اهتمام للقارئ ، لأنها تعالج قضاياه و تخاطب ميولا ته و اهتماماته وتصوراته و اتجاهاته.

المبحث الثاني: الرواية الجزائرية

إنّ نشأة الراوية الجزائرية غير مفصولة عن نشأتها في الوطني العربي، حيث لها جذور عربية و إسلامية مشتركة كصيغ القصص القرآني و السيرة النبوية و مقامات الهمذاني و الحريري و الرسائل و الرحالات. قد سايرت الرواية الجزائرية الواقع، و نقلت مختلف التغييرات التي طرأت على المجتمع بحكم الظروف والعوامل التي أسهمت في إحداث هذا التغيير.

أولا: ماهية الرواية الجزائرية

تعد الرواية فّن التّعبير عن قضايا الإنسان العربي: السياسّية والاجتماعية والثقافية، حيث يستفيد منها الروائي القادر في تنفيذ عمله الروائي الإبداعي بالّ صورة التي يطمح ويريد الوصول إليها، ومشاركتها مع القارئ المتلّقي للّنص الروائي، وذلك بنقل أفكاره ومشاعره وأحاسيسه وتجاربه بأساليب وطرق مختلفة.

1- محمد برادة، **أسئلة الرواية أسئلة النقد**، منشورات الرابطة، المغرب،1996، ص18.

2- **المرجع نفسه**، ص24.

1. اتجاهات الرواية الجزائرية- مسايرة الرواية الجزائرية للتحولات

لقد سايرت الرواية الجزائرية الواقع، و نقلت مختلف التغييرات التي طرأت على المجتمع بحكم الظروف والعوامل التي أسهمت في إحداث هذا التغيير، ومن الملاحظ أن الرواية الجزائرية قد صبغت بصبغة ثورية، خاصة الثورة ضد الاستعمار، كما سايرت النظام الاشتراكي وهذا ما نجده في عقد السبعينات، ودخلت الرواية في ما بعد مرحلة جديدة فيها ثورة و نضال وانهزام، إذ انطلق الكاتب من الواقع الذي عاشه وعايشه في زمن الأزمة فاصطلح عليه ب "أدب الأزمة".[1]

• **الرواية الجزائرية في فترة السبعينات:** إنّ من سمات الرواية في هذه الفترة الشجاعة الطرح و المغامرة الفنية، وهذا راجع إلى الحرية التي اكتسبها الكاتب بفعل الواقع السياسي الجديد، الذّي كان مناقضا للواقع السياسي الاستعماري قبل هذه الفترة، على اعتبار أن الكتابة فن لا يزدهر إلا في ظل الحرية و الانفتاح. فالقمع و الاضطهاد قد يدفع الكاتب إلى تبني مواقف ما كان ليتبناها لو أن الإطار السياسي كان مختلفا. [2]

ولقد جاء الطابع السياسي كحتمية لتركيبة ثقافة الرواد الأوائل الذين كان لهم السبق في تأسيس الرواية الجزائرية الحديثة، وكل هذا تأتى لهم من خلال انخراطهم في السلك السياسي ومعايشتهم للحدث والمساهمة فيه، فالروائيون الأوائل كانوا من جيل الثورة و الاستقلال، ولذلك فقد تمتعوا بحصانة و تجربة في رصيدهم كما يقول أبو القاسم سعد الله: " رصيد الثورة و نضج سياسي و تجربة نضالية".[3]

جعلهم الأمر يجمعون بين الإبداع و السياسة، فقد كان ابن هدوقة ممثلا لحزب أنصار الديمقراطية وحركة الطلاب الجزائريين بتونس أثناء دراسته،كذلك كان منخرطا في حزب جبهة التحرير و اشتغل في الإذاعة بعد الاستقلال، وكان الطاهر وطار عضوا في جبهة

---

[1]- دريس بودبية، **الرؤية و البنية في روايات الطاهر وطار**، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة،2000، ص 50-51.

[2]- **المرجع نفسه**، ص 40-41.

[3]- أحمد فريحات، **أصوات ثقافية في المغرب العربي**، الدار العالمية للطباعة و النشر، لبنان1984، ص 87.

التحرير إبان تأسيسها، كما أنه اشتغل بالسياسة و الصحافة التونسية، و بعد الاستقلال تفرغ للعمل السياسي بجبهة التحرير كمراقب للجهاز المركزي للحزب[1].

وقد منح هذا الرصيد من التجربة السياسية هؤلاء الرواد بعدا سياسيا للرواية التي نشأت بين أيديهم، مثلا "بن هدوقة" أسهم براوياته في إثراء الحركة الروائية من حيث مواجه الحياة ومشاكلها و التعبير في قضايا المجتمع وطموحاته، و نشر الوعي السياسي، وتدعيم آمال الطبقة الكادحة. [2]

كتب "ابن هدوقة" رواية "ربح الجنوب" في فترة الحديث عن الثورة الزراعية فأنجزها في 1970م، مساندة للخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة لفك العزلة عن الريف الجزائري و الخروج به إلى حياة أكثر تقدما و ازدهارا، ورفع البؤس و الشقاء عن الفلاح ومناهضة كل أشكال الاستغلال عن الإنسان و قد تكرس هذا الخطاب السياسي في قانون الثورة الزراعية الصادر رسميا في 08 نوفمبر 1971م.

هذا باختصار بعض المضامين للنصوص الروائية التي ظهرت خلال هذه الفترة و التي كانت كلها تسير في فلك الإيديولوجية الاشتراكية المتبناة من ظروف الدولة من أجل بناء الدولة الجزائرية الجديدة بعد أن أحرزت الاستقلال، و لما بدأت مرحلة الدولة الجزائرية الجديدة ساهمت كل المؤسسات في رفع هذا الصرح و ساهمت الرواية كجسر أدبي و مؤسسة اجتماعية أداتها اللغة في بناء مشروع الدولة.

•**الرواية الجزائرية في الثمانيات:** كانت التجربة الروائية للكتاب الجزائريين في هذه الفترة نتيجة للتحولات التي حدثت في مجتمع الاستقلال، حيث مثل هذا الجيل اتجاه تجديديا حديثا في هذا النمط الأدبي الجزائري، ومن التجارب الروائية في هذه الفترة نذكر روايات واسيني الأعرج مثل "وقع الأحذية الخشنة " سنة 1981 م، و "أوجاع رجل غامر صوب البحر" سنة 1983 م، وراوية " نوار اللوز" أو " تغريبة صالح بن عامر الزوفري" سنة 1982م، التي يستثمر فيها التناص مع تغريبة ابن هلال وكتاب " المقريري" "إغاثة الأمة لكشف الغمة".[3]

---

[1]– بن جمعة بوشوشة،**الرواية العربية الجزائرية،اسلئة الكتابة و الصيرورة**، دار سحر النشر، الجزائر، 1988، ص 15.

[2]– عمار عموش، **دراسات في النقد و الأدب**، دار الأمل، الجزائر، 1998، ص 47.

[3]– بن جمعة بوشوشة، **التجريب وحداث السردية في الرواية العربية الجزائرية**، مرجع سابق، ص9.

كما أخرج "واسيني الأعرج" نمطا روائيا آخر في هذه الفترة تحت عنوان "ما تبقى من سيرة لخضر حمروش "سنة 1983م، الذي يهدر فيها دم الشيوعي "لخضر" وهو من الشخصيات السياسية الأساسية في هذه الرواية، كان شيوعيا نقد الحكم بذبحه ذلك المجاهد البسيط "عيسى" زمن الثورة وهذه الرواية مثلت النظرة النقدية للتاريخ الرسمي الجزائري.

كما كتب الحبيب السايح رواية" زمن التمرد" سنة 1985 م، ومن الأعمال الروائية الجزائرية في هذه الفترة أيضا أعمال الروائي جيلالي خلاص رواية "رائحة الكلب" سنة 1985م، و روايته "حمائم الشفق" سنة 1988م، كما كتب أيضا مرزاق بقطاش روايته "البزاق "سنة 1982م، و"عزوز الكابران"سنة 1989 م، الذي يقف فيها شيخ الجامع وهو شخصية من شخصيات الرواية يعد رمز للتيار السلفي المتضامن مع النزعة الوطنية، ممثلا للفكرة الوطنية الموحدة في الجوانب الإيديولوجية المتباينة، في هذه الرواية يلتقي المعلم وهو من الشخصيات الأساسية بهذا الشيخ في الزنزانة وقت صلاة الظهر حيث يؤنب شيخ الجامع هذا المعلم و يخبره بأنه غير راض عليه، لأنه في رأيه لا يعلم الأطفال ما ينبغي تعليمه وهو أن يعلمهم الحقيقة و كذا التمرد على حاكم مثل «عزوز الكابران».[1]

وغير هذا من التجارب الورائية و منظورات و رؤى أصحابها لمسالك التجديد و مواقفهم المتعددة في التعامل مع قضايا و إشكاليات الواقع الجزائري في الثمانينات، إذ رأى بعضهم في التأصيل السبيل الأمثل لتحقيق الحداثة والتجديد في تجربته الروائية، مثلما نجد ذلك عند واسيني الأعرج، أمّا البعض الآخر فقد رأى في التجديد عن طريق الاشتغال المكثف على اللغة بتحويلها إلى فضاء إبداع و تعقيد السرد السبيل الأمثل القادر على تحقيق المغايرة واكتساب تجاربهم سمات الجدة وتجاوز ما هو سائد في السرد الروائي، مثلما تجسد في تجربة "رشيد بوجدرة" وجيلالي خلاص و غيرها. [2]

إن ما يلفت النظر في هذا المنحى هو هذا السعي الجاد من رواد الرواية العربية الجزائرية إلى الانخراط ضمن التوجه الجديد في الممارسة الروائية و الاستفادة من تقنيات الرواية الجديد سواء العربية منها أم العالمية، حيث نشر "عبد الحميد بن هدوقة" روايته "الجازية و

[1]– نبيل سليمان، **التجريب في الرواية الجزائرية**،الملتقى الرابع لابن هدوقة، وزارة الاتصال والثقافة، مديرية الثقافة،2001، ص61.

[2]– عمار عموش، **دراسات في النقد و الأدب**، مرجع سابق، ص 10.

الدراويش "سنة 1983م التي مثلت إضافة نوعية لمسيرته في علمه الروائي، حيث استثمر فيها سيرة بني هلال ليتناول من خلالها إشكاليات الثورة زمن الاستقلال، وما يتم عنها من صراعات و تناقضات و تشخيص إخفاق العديد من اختياراتها و انحراف ممارستها عن الأسس و المبادئ الأصلية التي تبنتها زمن حرب التحرير، و هي النقدية السياسية التي بلور معالمها الأديب الطاهر وطار في روايته "الحوات والقصر" سنة 1980م، و "تجربة في العشق" سنة 1988م، حيث كشف فهما عن سمعة السلطة القمعية والوصولية و الانتهازية التي تحكم جزائر الاستقلال، وهذا في صياغة جزئية لم تتهيب من المحظور السياسي. [1]

ومع كل هذه الأعمال الروائية التي ترمي إلى إحداث التجديد و الخروج عن المألوف السردي، شهد عقد الثمانينات ظهور عدد مهم من الروايات ذات القيمة المحدودة فكريا و جماليا بسبب عدم امتلاك أصحابها عناصر الوعي والإدراك الضرورية لفهم طبيعة تحولات المجتمع الجزائري، إدراك خلفيات ما يعيشه من صراعات و تناقضات زمن الاستقلال، إضافة أيضا إلى عدم توفرهم على شروط الوعي النظري للممارسة الروائية، ولهذا جاءت نصوصهم الروائية باهتة على صعيد الكتابة وساذجة في التعبير عن الموقف من واقع الجزائر في السبعينات والثمانينات، وما ميزه من مناظر و صور تأزم متأنية من تهافت أشكال الممارسة السياسية للسلطة الحاكمة. [2]

• **الرواية الجزائرية في التسعينات:** لقد كانت فترة التسعينات حافلة بالروايات التي تحاول أن تأسس لنص روائي يبحث عن تميز إبداعي مرتبط ارتباطا عضويا بتميز المرحلة التاريخية التي

أنتجته و بالواقع الاجتماعي الذي شكل الأرضية، التي استطاع من خلالها الروائيين أن يستلهموا الأحداث والشخصيات من أجل قراءة الحادثة التاريخية قراءة مرهونة بالظرف التاريخي الصعب الذي مروا به.

---

[1]– **المرجع نفسه**، ص 10.

[2]– **المرجع السابق**، ص 11.

وما تردد في روايات التسعينات تصوير وضعية المثقف الذي وجد نفسه سجين بين نار السلطة و جحيم الإرهاب، وسواء كان أستاذا أم كاتبا أم صحفيا أم رساما أم موظفا، فإنهم يشتركون جميعا في المطاردة و التخفي وهم يشعرون دوما أن الموت يلاحقهم.

ومازالت رواية فترة التسعينات وما بعدها مشدودة لتلك الرؤية الإيديولوجية ويرجع ذلك للأوضاع المأسوية التي يمر بها الوطن، وهذا ما ترك بصمته على الفن، فكل النصوص الروائية التي ظهرت في فترة المحنة، حاولت أن تعكس ما يتعرض له المجتمع في قالب يهيمن عليه البعد الإيديولوجي وهذا ما يؤكد الهيمنة الإيديولوجية على الخطاب الروائي الجزائري. [1]

إنّ الإرهاب ليس حدثا بسيطا في حياة المجتمع، وقد لا يقاس بالمدة التي يستغرقها ولا بعدد الجرائم التي يقترفها بل بفظاعتها و درجة و حشيتها، وعندما يتعلق الأمر بالجزائر فإن الإرهاب تقاس خطورته بتلك المقاييس جميعا، إذ استغرق مدة غير قصيرة لكن انشغال الناس به في سعيهم اليومي و أرقهم الليلي لم يمنع بعض الكتاب من تسجيله بل إن ثقله هو الذي يفرض على الكاتب حالة من الحضور يصعب عليه أن يتنصل منه. [2]

حيث واكبت الرواية الجزائرية هذه المرحلة الجديدة، مرحلة التكتلات وبهذا ظهرت رواية المعارضة كبديل عن رواية السلطة التي فقدت هيبتها بعد أحداث 08 أكتوبر 1988، وبذلك فسحت المجال لرواية المعارضة بعد توفر مناخ الحرية الذي أفرزه دخول الجزائر مرحلة اختيارات جديدة سواء على المستوى السياسي أو الاقتصادي، فزالت سياسة الحزب الواحد، و جاءت التعددية الحزبية وقد رافق هذا المعطى السياسي اعتبار حرية التعبير في الدستور حقا من حقوق المواطنة، و بهذا أصبح النص الروائي ملزما بتجديد موقفه مما يحدث، و كما كان الروائي الصوت المعبر عن هموم الجماعة و الصادر عن عمقها، كان أول ردود فعله اتجاه ما يحدث هو الوعي بالمأساة الوطنية.[3]

فقرأنا روايات لمختلف الأجيال التي تعاطت موضوع العنف السياسي و آثاره اجتماعيا و اقتصاديا وثقافيا،حيث يلتقي الطاهر وطار في "الشمعة و الدهاليز" مع واسيني الأعرج في

[1]– حسين خمري، **فضاء المتخيل – مقاربات في الرواية**، منشورات الاختلاف ، 2002، بدون بلد، ص 191

[2]– **المرجع نفسه**، ص 192.

[3]– عمار عموش، **دراسات في النقد و الأدب**، مرجع سابق، ص 11.

"سيدة المقام" في البحث عن جذور الأزمة وفضح الممارسات التي تبعتها، كما جسدها آخرون كإبراهيم سعدي في" فتاوي زمن الموت" و محمد ساري في "الورم"،و بشير مفتي في "المراسيم و الجنائز"فمثلا في "سيدة المقام" يصور لنا واسيني الأعرج معاناة مريم التي ترمز للمرأة الجزائرية الصامدة، و يرجع سبب هذه المعانات إلى النظام و التيار المظلم المعادي لكل مظاهر التقدم والتحضر. [1]

إذا فالرواية هي شهادة على واقع، و شهادة على حضور ذات المثقف المعذبة فهي تجسد في أحد أوجهها حضور المثقف و محنته في رواية الأزمة إنّها ثقافة الوطن المجروح. ونجد الطاهر و طار في "الشمعة و الدهاليز"،يدخل القارئ في دهاليز كثيرة إذ ما ينفك أن يخرج من دهليز حتى يدخل في آخر، و بقدر تعدد الدهاليز تعدد معها التساؤلات الكثيرة المحيرة و الشاعر الضحية كان هو الآخر واحدا بالقياس إلى عدد الملثمين، إنها حالة يتغلب فيها عنصر الشر على عنصر الخير و لكن الشمعة رغم ذلك تضيء، إنّ وقائع الشمعة و الدهاليز الروائية تجري قبل انتخابات 1992 التي خلفت ظروفا أخرى لا تعنى الرواية في هدفها الذي هو التعرف على أسباب الأزمة و ليس عن وقائعها و إن كانت وظفت بعضها[2].

وما نخلص إليه يكمن في أنّ الخطاب الروائي السياسي في الجزائر هو وليد الأفكار السياسية و الوطنية، إذ واكبت الرواية الجزائرية جل التحولات السياسية الطارئة على المجتمع الجزائري في مراحله المختلفة، فتناولنا الرواية السياسية في الجزائر في فترة السبعينات وما تميزت به من مميزات مرورا بعقد الثمانينات، وصولا إلى عقد التسعينات الذي كان حافلا بمختلف التطورات و الأحداث خصوصا في الميدانين الأمني و السياسي، أما المستوى الأدبي فقد تميز بظهور نمط جديد من الكتابة الروائية وهو رواية المحنة أو الأزمة التي خاض فيها العديد من الروائيين الكبار أمثال واسيني الأعرج و أحلام مستغانمي و رشيد بوجدرة والطاهر وطار وبشير مفتي، وإلى جانب هؤلاء الكتاب المحترفين نجد بعد الكتاب الجدد الذين كانت لهم تجربة معتبرة في هذه النمط من الرواية ومنهم الروائي الجزائري سفيان زدادقة. [3]

---

[1]– **نفس المرجع** ، ص 12.

[2]– **نفس المرجع** ، ص 13.

[3]– إدريس بودیبة، **الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار**، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 2000،ص.3.

2. البناء الفني في الرواية الجزائرية: التأسيس- التأصيل

• **التأسيس:** كما هو معلوم أن البداية الفعلية والحقيقية للرواية الجزائرية كانت مع "ريح الجنوب" لـ"عبد الحميد بن هدوقة"عام 1971 ذلك "أنها شهدت قفزة حقيقية للنهوض الروائي الفني في الجزائر"، " فلم تكن قصة "غادة أم القرى" ولا "الطالب المنكوب" لـ "عبد المجيد الشافعي" من الروايات الناجحة من الناحية الفنية" فإذا كنا نقر بهذه الحقيقة فأين نصنف "ريح الجنوب" من بين الروايات الجزائرية الحديثة؟ المؤسسة للحداثة والتجريب في الجزائر؟ فبالرغم من التوجه الواقعي لصاحبها وهيمنة ثقافته التقليدية إلا أنها تعكس نزعة تجريبية باحثة عن أشكال تعبيرية جديدة في الممارسة الروائية حيث عبر عنها "بن هدوقة" ذاته بقوله: "ككاتب أحاول أن أوظف كل ما أعرف: السينما، التمثيل، الأدب في الرواية، ويكون هذا التوظيف حاملا لعدة مضامين ومستويات. [1]

إذن من خلال هذا التصريح نستطيع القول أن "ابن هدوقة" حاول أن يخلص الرواية الجزائرية من بناءها التقليدي الساذج إلى عالم أخر لا يخضع في بنيته إلى نظام مسبق ولا إلى منطق كما كانت تحتكم إليه الروايات التقليدية السابقة دون اللجوء إلى أسلوب التغريب والانتماء وهو المحافظة على الأصل دون إهمال الفرع وهذا ما يحيل إلى أن"ابن هدوقة" اعتمد أسلوب التجريب الذي يقترن بالتأصيل حيث يقول: "ينبغي أن نحافظ على الأصالة ونحترمها وهي مميز مهم لإبداعاتنا في التقنيات المستعملة."[2]

فإن "ابن هدوقة" كان واسطة بين اللحظة التقليدية واللحظة الحداثية هذا ما يقودنا إلى القول أنه بالرغم من استمرارية اللحظة التقليدية إلا أن اللحظة الحداثية قامت وتأزمت بالتجريب. فكما يقول ميشال بوتور: "إن توافق الأشكال المتنوعة للقصة حقائق متنوعة ذلك أن العالم الذي نعيش فيه يتغير بسرعة كبيرة، والتقنيات التقليدية للقصة لم تعد صالحة لاستيعاب جميع العلاقات الجديدة، التي تنشأ عن هذا الوضع الجديد".[3]

غير أن الرواية بغض النظر عن الموضوع الذي طرحته المرأة والأرض إلا أنها وظفت التجريب لكن بصفة محتشمة غير جريئة ومن ذلك الاشتغال المكثف للحوار سواء بين الرجل والمرأة أو المجتمع، واستثمار عناصر المخيال الإسلامي: النار، الجنة، النشر البرزخ، القبر،

---

[1]- محمد مصايف،**الرواية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام**، الشركة الوطنية للنشر ،1983، ص179.

[2]- بن جمعة بوشوشة، **التجريب وحداث السردية في الرواية العربية الجزائرية**، مرجع سابق، ص11.

[3]- **نفس المرجع** ، ص 12.

اعتماد الكاتب تقنية التذكر من خلال العودة إلى تاريخ الثورة الجزائرية زمن التحرير بالإضافة إلى استعانته بالتناص وذلك من خلال استثماره لقصيدة البردة للبوصيري". ومع هذا إلا أن الرواية السبعينية اقتبست الشكل الكلاسيكي القديم المقنن بهرم البداية والذروة والنهاية هذا ما يخص بنية الحدث ذات الشكل الثلاثي ما قبل الحدث- ما بعد الحدث. لقد استطاع "ابن هدوقة" في هذه الرواية بقدرة فنية أن يتحكم ويحسن استغلال أدواته الفنية التي تسهم في تأكيد الصلة الديالكتيكية القائمة بين الشكل والمضمون، وتعمل على تأصيل تجربة الكاتب الإبداعية بارتباطه بواقعه حتى على الصعيد الجمالي. [1]

كذلك من مظاهر التجريب في هذه الرواية هو ترك النهاية مفتوحة لإشراك القارئ في إنتاج نهايتها، أما روايته الثانية "نهاية الأمس" والتي كتبها سنة 1975هي الأخرى تراوحت بين التقليد والحداثة وذلك لما وظفه من سارد عليم، بالإضافة إلى استثماره للعديد من التقنيات السردية، كسابقتها "ريح الجنوب" الحوار، التذكر، تداخل الخطابات الشعري الديني. [2]

فبالرغم من أن موضوعها هو الصراع بين نزعتين تمثل الأولى الإقطاع وحب الاستغلال وتمثل الأخرى نزعة التقدميين من أمثال "بشير" بطل الرواية والعمل من أجل الصالح العام ومهما يكن فإن الرواية اختارت لنفسها منهجا واقعيا نقديا كسابقتها "ريح الجنوب" لكن سرعان ما تنحرف عن هذا المسار لتصبح العملية النقدية اجتماعية بعفوية وهذا ما جسدته الأوضاع الاجتماعية التي عانت منها الجزائر بعد الاستقلال من فقر، جهل، بؤس، إلا أنه وبالرغم من أن خطى "بن هدوقة" في عمله هذا كانت خطى متثاقلة نوعا ما وهي تنحوا منحى الحداثة والتجريب ف "واسيني الأعرج" يعتبر توظيف الكاتب للتذكار أو العودة إلى الماضي لا تشكل أدوات فنية تضيف شيئا إلى أطروحات الرواية، بقدر ما تشكل الوجه العاجز عند الكاتب الذي يهرب من واقع التحولات إلى واقع الثورة الوطنية بدون مبررات. [3]

فاعتماد "ابن هدوقة" هذا الأسلوب لم يزد الرواية إلا انقطاعا حيث أسهم هذا الانقطاع في التمزق الفظيع في فكر البشير، واستهلك أكثر من نصف الرواية مما ترتب عليه بعض التذبذب على مستوى البطل "البشير"، كذلك إن توظيف "بن هدوقة" للأبيات الشعرية- كما سلف ذكره- ليس من قبيل البعد الجمالي أو الفني بقدر ما هو التخفي والبحث عن البديل

---

[1]- نبيل سليمان، **جماليات وشواغل روائية**، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا،2003، ص52.

[2]- ميشال بوتور، **بحوث في الرواية الجديدة**، ترجمة: فريد انطونيوس، منشورات العويدات، لبنان، 1982، ص 07.

[3]- بن جمعة بوشوشة، **التجريب وحداث السردية في الرواية العربية الجزائرية**، مرجع سابق، ص22.

الفني لأنه بصدد الغوص والبحث داخل نفسيات أبطاله مما يوقعه مرة أخرى في الانسجام بين الحديث والحالة النفسية إذ أن الوقت غير مناسب لقول الشعر" حالة البطل المتورط "فهناك حالة إقحامية لأداة جمالية أثقلت أكثر مما صعدت بعد الرواية الدرامي. من هنا نستطيع القول أنه بالرغم من انتماء الرواية إلى الاتجاه الرومانسي إلا أن البعد الجمالي ظل محدودا في كثير من المواقف ناهيك عن محاولة "ابن هدوقة" الاستفادة من منجزات الرواية الحديثة كتيار الوعي المونولوج، والديالوج، وتقنية الفلاش باك إلا أنه أثقل كاهل الرواية بالحشو بالمفردات والمباشرة التي لا مبرر لها كان هذا العمل الثاني الذي يمكن أن نطلق عليه ثاني عمل تأسيسي للتجريب في الجزائر. [1]

التأصيل: يتفق معظم النقاد والدارسين في مجال الرواية الجزائرية "أن رواية "اللاز" ل" طاهر وطار" تعتبر رواية رائدة خطت أولى خطوات التأصيل"الحقيقي للنهوض بالخطاب الروائي الجزائري. وما أطلق عليه اسم تجريب التأصيل الروائي ذلك أنه بعمله هذا سعى إلى تحقيق وبلوغ أفق حداثي في الكتابة الروائية الجزائرية لأنه وكما يقول الناقد المغربي "سعيد يقطين" عن الحداثة والسردية: "الرواية فن أدبي حديث وحداثة الرواية تكمن في سرديتها وبسبب تعالق الحداثة والسردية لا يمكن الحديث عن سردية تقليدية في الرواية وسردية حديثة لأننا عندما نحتكم إلى "البعد السردي" تضيق فسحة الحداثة، لأنها مفهوم ملتبس".[2]

إذن فالحداثة السردية عند" الطاهر وطار"تعني اختراق ثوابت السائد السردي والسعي باستمرار إلى خلخلة قواعده فهو يرى ويصرح في كثير من حواراته أن التجريب يرفض السكون إلى شكل فني محدد كي لا يسقط في التقليد ويرى بأنه وضع قواعد لرواية جديدة أو تقنين الكتابة بعناوين مختلفة دعوة رجعية تقودنا طال الزمن أو قصر إلى المحافظة وتقديس الشكل. "من هذا المنطلق يحدد لنا "وطار" طريقه نحو التأصيل من جانبان هما: الأول: ضرورة الانتباه والأخذ في الحسبان النماذج التي تشكل انزياحا عن مجموع الخصائص التي تمثل النموذج التأسيسي الأول للرواية الجزائرية 1971 ويتأسس جماليا على اصطناع الشكل التقليدي للرواية العربية من حيث: الوصف، الشخصية، خطية السرد ومن ناحية ثانية: يدعو

[1]– واسيني الأعرج، **اتجاهات الرواية العربية في الجزائري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986، ص400.

2– سعيد يقطين، **حداثة السرد في الرواية الجزائرية المعاصرة**، مجلة فصلية" إيران والعرب"،العدد العاشر،2013 ، ص4.

إلى سيرورة التطور في أوليات الرواية وذلك في نصوص منتصف السبعينيات وهو ما يحدده في روايته "اللاز" من حوار وتكسر استقامة الزمن وفعل التذكر. [1]

إذن من خلال هذا التحديد الزمني للرواية، وبغض النظر عن الموضوع الذي تطرحه الرواية وهو الثورة المسلحة وما يتفرع عنها من تيمات: [2] الشهداء والتضحية والخيانة إلا أنها ظلت حلقة وصل وواسطة بين الريادة والتأصيل للإبداع الأدبي والفني في الجزائر كما يقول "نبيل سليمان" أن" الطاهر وطار" منذ "اللاز" قد بدأ يجرب تقنيات الحداثة الروائية المختلفة" وأولى علامات الحداثة الروائية كما سجلناه من خلال الرواية هو تماهي الواقعي والمتخيل ذلك ما توحي به عبارة المؤلف في بداية الرواية: "إنني لست مؤرخا ولا يعني أبدا أنني أقدمت على عمل يمت بصلة كبيرة إلى التاريخ رغم أن بعض الأحداث المروية وقعت أو وقع ما يشبهها... إنني قاص، وقفت في زاوية معينة، لألقي نظرة –بوسيلتي الخاصة– على حقبة من حقب ثورتنا "،وعليه تم بالفعل تجريد الأحداث والشخصيات والتجارب من طابعها الحقيقي وأضيفت عليها صبغة التخيل وذلك من خلال الإبهام الزمكاني، إشاعة بعض خصائص التعبير الذاتي، المبالغة في التصوير أحيانا واختلاف الوقائع وتحويل الشخصيات الروائية إلى رموز ك "اللاز"، و"زيدان" والرواية تمثل عملا أدبيا أيديولوجيا بالدرجة الأولى بغض النظر عن قضية الصراعات والخلافات السياسية التي سبقت اندلاع الثورة وبقيت قائمة حتى بعد الثورة إذن فالعالم الروائي في "اللاز" يشكل مضمونه الحكائي من سير الملاحم والبطولات ذلك أن وطار شكل من "زيدان" ومأساته قضية بطولية ومأساوية في آن واحد بغض النظر عن الأحداث التي جاءت موزعة على جل شخصيات الرواية تقريبا حيث نجد كل شخصية من شخصيات الرواية تروي فصلا أو أكثر، حدثا أو جزء من الحدث فاسحة المجال لشخصية أخرى حتى تكمل الحكاية،إن تتالي الوقائع والشخصيات يخضع لنظام التعاقب والتداخل بما يعني تكسير خطية السرد، وتقديم حدثين أو أكثر في وقت واحد على أساس تقنيتي الإيقاف والاستئناف التناوبي. [3]

هذا ما عدد الرواة ووجهات النظر للحدث الواحد بالإضافة إلى اعتماد وطار على أسلوب السرد الدائري الذي تم عن طريق الاسترجاع مما جعل النهاية مرسومة منذ البداية:

1– بن جمعة بوشوشة، **التجريب وحداث السردية في الرواية العربية الجزائرية**، مرجع سابق، ص27.

2– نبيل سليمان، **جماليات وشواغل روائية**، مرجع سابق، ص55.

3– عبد الحميد عقار، **الرواية المغاربية (تحولات اللغة والخطاب)**،المدارس النشر والتوزيع، المغرب، 2000، ص10.

الاستشهاد والذبح أو الخيبة أو اليأس واجترار آلام الماضي، كل هذه النهايات حددت أسلوب الرواية بذات "البناء المقفل"، حيث بدأ "وطار" منذ رواية "اللاز" يجرب تقنيات الحداثة الروائية المختلفة: استثمار اللقطة الوامضة والمركزة استثمار سجلات الكلام اليومي، وسجلات كلام متعددة ومتنوعة، جعلت من لغة الخطاب الروائي لغات تتفاعل فيها العامية والفصحى، الواقعي والحلمي، السياسي والتراثي، المحلي والعالمي. [1]

ومن هنا نستطيع القول أن رواية "اللاز" استطاعت أن تحقق أصالتها وتميزها بالنظر إلى تاريخ صدورها 1974كونها اعتمدت على غزارة الشخصيات والأحداث والمبالغة في التصوير وبخاصة المشاهد المتخيلة بالإضافة إلى نجاحها في بناء نموذج الشخصية الإشكالية بالمعنى الذي طرحه "جورج لوكاتش" الذي تمثله شخصية "اللاز" واعتماد" الطاهر وطار" على التذكر والاسترجاع جعل منها عناصر ذات أهمية بالنسبة للشخصية أو الخطاب، لذلك كانت هذه الرواية هي المرجع أو السند الذي ستبني عليه الروايات التالية شكلها وتتفاعل معه بشكل يزيد من جمالية البناء وفنية الخطاب الروائي الجزائري. [2]

ثانيا: واقع الرواية الجزائرية.

إن الحركة الأدبية في الجزائر تواكب التطورات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي تمر بها الجزائر من أجل حفر أخاديد حضارية جديدة ذات أثر عميق، ولهذا كانت الرواية أكثر تمسكا وارتباطا بالحياة الواقعية، بحيث أنها تشكل لنا جزءا من هذه الحياة بمختلف ظروفها.

1.اتجاهات الرواية الجزائرية

تشكل جمعية العلماء المسلمين في هذا السياق الوجه المشرق للفكر الإصلاحي فصحافة الجمعية كانت الصدر الذي ضم إليه كافة الإنتاجات الأدبية التي كانت تؤمن بالخطوط العريضة لشعارات الجمعية. بحيث نجد أكثر من 91%من الكتابات الإبداعية ذات التعبير العربي قبل الاستقلال وبعده بقليل ذات نزعات إصلاحية إلا فيما ندر.

وقد أسس هذا الاتجاه للرواية المكتوبة باللغة العربية مثل: " غادة أم القرى" لـ " أحمد رضا حوحو « و"الطالب المنكوب" لـ " عبد المجيد الشافعي" و" صوت الغرام " لـ "محمد المنيع »، و" حورية " لـ "عبد العزيز عبد المجيد" إن الروايات التي تنضوي تحت هذا الاتجاه الإصلاحي (ليست روايات بالمعنى الكامل لتأثرها بالأدب العربي القديم أكثر من تأثرها

1- نبيل سليمان، **جماليات وشواغل روائية**، مرجع سابق، ص56.

2- بن جمعة بوشوشة، **التجريب وحداث السردية في الرواية العربية الجزائرية**، مرجع سابق، ص28.

بالأدب العربي الحديث، فقد اتخذ معظمها شكل المقامات لكن يكفيها أنها أسست للرواية العربية في الجزائر).[1]

- **الاتجاه الرومانتيكي:** الجزائر المستعمرة لم تكن بعيد عن التأثر بشكل من الأشكال بالتيارات
- والفلسفات المثالية التي كانت تسيطر على الساحة الثقافية فالحركة الرومانتيكية الجزائرية أخذت مداها في الاتساع قبل الثورة التحريرية خصوصا في الشعر ومع حلول السبعينيات من القرن الماضي اتخذ هذا التيار توجها آخر حاول من خلاله التعبير عن مختلف القضايا الوطنية، ويمكن أن نصنف تحت هذا الوعي الرومانتيكي ست روايات هي: "ما لا تذروه الرياح" لـ" محمد عرعار" "نهاية الأمس " لـ " عبد الحميد بن هدوقة "، " دماء ودموع " لـ " عبد المالك مرتاض " ، "حب أم شرف " لـ " شريف شناتلية " ، " الشمس تشرق على الجميع " و" الأجساد المحمومة "لـ " إسماعيل غموقات" .[2]
- **الاتجاه الواقعي النقدي:** ظهرت القدرة على التلاؤم مع أزمات الواقع، ورصدها بشكل واقعي في الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي، (وقبلها بقليل عند المتجزئرين، فكان ذلك إيذانا بتبلور اتجاه أدبي واقعي يحمل نسقا جديدا، واستمر ذلك مع جملة من الكتاب حتى اندلاع الثورة التحريرية، ثم بعد الاستقلال على يد قافلة من الكتاب هم " محمد ديب " ، " كاتب ياسين" ،"مولود فرعون" آسيا جبار" ، "مالك حداد" ، "عبد الحميد بن هدوقة" ،"عرعار محمد العالي" ، " نور الدين بوجدرة" ، وغيرهم.

إن النظر إلى الواقع بعده ظواهر متحدة غير قابلة للانفصال، جعلت هؤلاء الكتاب بشكل عام يلتقون في زوايا وحدت مجهوداتهم (وهم بشكل عام نظروا للمجتمع من منظورات تكاد تكون مشتركة إلى حد ما من حيث أن الواقع مركز حي ومتحرك، الفلاح المستغل مثلا). كما لم تغب الثورة الوطنية التي كانت وما تزال تمارس حضورا قويا عند أدباء الواقعية. [3]

1- واسيني الأعرج، **اتجاهات الرواية العربية في الجزائري**، مرجع سابق، ص126.

2- واسيني الأعرج، **النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا،2000،ص28.

3- واسيني الأعرج، **النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية**، المرجع السابق، ص30.

• **الاتجاه الواقعي الاشتراكي:** بدأ هذا الاتجاه في الظهور على ساحة الرواية الجزائرية في روايات "محمد ديب " ، و كاتب ياسين " (لقد جاءت الرواية عندهم وبالرغم من اللغة.) الفرنسية عملا جزائريا يشارك في حركة المقاومة بأوفر نصيب.

هذه الساحة التي أفرزت أدبا جزائريا عربيا متميزا إلى حد بعيد، مرتبطا بواقعه بشكل عضوي يقول " واسيني الأعرج " مدافعا عن الواقعية الاشتراكية: من هنا تظهر القوة اللا محدودة للتعبير

في الواقعية الاشتراكية التي تتيح لكل النماذج البشرية التعبير عن موقفها ووعيها وحالتها من خلال واقعها الطبقي المعيش ومن الأعمال الروائية الجزائرية الناجحة المكتوبة بالعربية والتي تحمل أبعاد الاتجاه الواقعي الاشتراكي أعمال الروائي " الطاهر وطار" مثل " اللاز " و" العشق والموت في الزمن الحراشي " و " الحوات والقصر " و" عرس بغل " والزلزال.»[1]

2.عوامل تأخر الرواية الجزائرية على نظيرتها العربية

• **العوامل السياسية:** إن ظروف الصراع السياسي والحضاري التي كان يعيشها الشعب الجزائري كانت تقتضي الانفعال في النظرة، والسرعة في رد الفعل وعدم التأني في التعبير عن المواقف والمشاعر،وهي شروط جعلت الأديب يميل إلى القصيدة الشعرية والأقصوصة التي تعبر عن اللمحة العابرة أكثر مما تعبر عن موقف مدروس في أبعاد إيديولوجية وفنية واضحة. و إذا كانت الثورة الجزائرية المسلحة تعد تطورا حاسما لظروف هذا الصراع ، فإنها لسرعة أحداثها وحاجتها إلى جميع الطاقات البشرية والفكرية لم تسمح للأدباء الجزائريين باستيعاب هذا التطور استيعابا من شأنه دفع بعض هؤلاء الأدباء إلى اتخاذ الفن الروائي وسيلة للتعبير عن مواقفهم ، وربما كانت ظروف الثورة أدعى إلى إنشاء الملاحم الشعرية منها إلى كتابة الرواية التي تتطلب معاناة أعمق ونظرة أشمل ، وتجربة فنية أكبر (وهكذا استمر الأديب الجزائري يسهم في سير الثور ويقوم بدوره في الصراع السياسي والحضاري عن طريق الشعر والمقالة الفكرية والقصة القصيرة التي اتخذت في هذه الفترة بالذات طابعا رومانسيا واضحا. [2]

فالأدب بهذا المعنى هو الصورة السياسية لواقع ما معكوسة بشكل إبداعي فني وطبعا يفترض في هذا القول أن لا يفهم بشكل ميكانيكي ولكن ضمن السياق التاريخي لتطور مختلف

1- شكري غالي، **أدب المقاومة**، منشورات دار الأفاق الجديدة، لبنان، 2001، ص125.

2- عبد الله ركيبي، **تطور النثر الجزائري** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1897، ص111،

الظواهر الثقافية. فمن ثورة 7117م حتى ثورة 7913م مرورا بانتفاضة 7931هناك خطوط متقاطعة ساهمت بشكل أو بآخر في بلورة الاتجاهات التي ستتجلى في الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية أو في الرواية المكتوبة باللغة العربية قبل أو بعد الاستقلال[1]

وناقلة القول إن البيئة الثقافية في الجزائر عانت من تعقيدات متعددة، الأمر الذي جعل الحركة الأدبية تعاصر ظروفا صعبة جدا وقاسية أعاقت انطلاقتها وحجمت قدرتها على الخلق والإبداع والعطاء إذن فإن كان تطور الحركة الأدبية في المشرق وفي أقطار المغرب العربي عدا الجزائر طبيعيا فإن تطورها في الجزائر كان محاطا بالمصاعب والتمزقات فاللغة العربية لم تتح لها فرصة التطور الطبيعي، إذا لم نقل إن فرنسا عملت بكل ما أوتيت على أن تقتلع الجذور العربية من أرض الجزائر. [2]

- **العوامل الفنية والثقافية:** تأخر ظهور الرواية الفنية المكتوبة باللغة العربية إلى فترة السبعينيات ، ويرجع ذلك إلى أن هذا الفن صعب يحتاج إلى تأمل طويل ، والى صبر وأناة ، ثم يتطلب ظروفا ملائمة تساعد على تطوره وعناية الأدباء به ، وفي مقدمة هذه العوامل أن الكتاب الجزائريين الذين كتبوا باللغة العربية اتجهوا إلى القصة القصيرة (لأنها تعبر عن واقع الحياة اليومي ، خاصة أثناء الثورة التي أحدثت تغيرا عميقا في الفرد، أما الرواية فإنها تعالج قطاعا من المجتمع يتشكل من شخصيات تختلف اتجاهاتها ومشاربها، وتتفرع تجاربها وتتصارع أهواؤها ومواقفها ومن ثم كان الكاتب يحتاج إلى تأمل طويل، بالإضافة إلى أن الرواية تتطلب لغة طيعة مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة، هذا ما لم يتوفر لها سوى بعد الاستقلال. وفوق هذا فإن كتاب الرواية الجزائرية لم يجدوا أمامهم نماذج جزائرية يقلدونها أو ينسجون على منوالها كما كان الأمر بالنسبة للكتاب باللغة الفرنسية، ومع ذلك فإن كتاب الرواية العربية الجزائرية قد أتيح لهم أن يقرؤوا في لغتهم عيونا واسعة في الرواية العربية الحديثة والمعاصرة (لكنهم لم يتصلوا بهذا النتاج إلا في فترة قريبة بسبب الظروف التي عاشوها وعاشتها الثقافة القومية في الجزائر).[3]
- **العوامل الاجتماعية:** من العوامل التي أعاقت ظهور القصة والرواية، ضعف النقد وعدم وجود الناقد الدارس الموجه، وضعف النشر وانعدام وسائل التشجيع الكافية للأديب كي يكتب

[1]– محمد مصايف، **الرواية العربية الجزائرية الحديثة**، الدار العربية للكتاب، الجزائر ،1897 ،ص07.

[2]– واسيني الأعرج، **اتجاهات الرواية العربية في الجزائري**، مرجع سابق، ص50.

[3]– عبد الله ركيبي، **تطور النثر الجزائري**، مرجع سابق، ص166.

وينتج بل يحاول ويجرب. ولا يمكن هنا أن نغفل عن عدم وجود المتلقي لهذا النتاج لو صدر،

- وكيف يوجد في ظل الأمية التي فرضتها سلطات الاستعمار الفرنسي على الشعب الجزائري كي يظل متخلفا (وهذا ما ذكره باحث فرنسي منصف هو " سيسيبل إيمري" الذي كان مراسلا للمجمع العلمي وأستاذ جامعة الجزائر، في مقال له إذ كتب يقول: يوجد في قطر الجزائر بعد مئة عام من انتصابنا فيه 11% من الأميين الذين يجهلون القراءة والكتابة. [1]

هناك عوامل أخرى ساهمت في عدم تطور الرواية وهي التقاليد، أبرزها ما يتعلق بوضع المرأة في المجتمع إذ كانت مغلقة لا تسمح لها بالاختلاط أو المشاركة في الحياة السياسية والاجتماعية، (ولهذا من الصعب أن تعالج القصة) علاقة الرجل بالمرأة، أو أن تتعرض لهذا الموضوع وما إلى ذلك.

إلى جانب هذا لابد من الإشارة إلى بعض المؤثرات الأخرى التي أثرت القصة الجزائرية بشكل واضح كصلة الجزائر بالمشرق والغرب، فأما عن الصلة بالمشرق العربي فقد أثرت في النهضة الأدبية عامة، وان كان هذا يبدو واضحا جليا في الشعر، فإنه في القصة والرواية بالذات ظهر ضئيلا.

وأما عن الصلة بالغرب فقد اتخذت صورة معاكسة (إذ كان لقاء الجزائر بأوروبا قبل الاحتلال أساسه التجارة والمعاملات الرسمية، ولم يوجد حكم وطني يرسل البعثات إلى أوربا لتستفيد الجزائر من نهضتها الفكرية والحضارية، وطوال الحكم الاستعماري حتى الحرب العالمية الثانية لم يحس الجزائريون باحتياج إلى الثقافة الغربية. [2]

3الوجود اليهودي في الرواية الجزائرية

تعددت صور اليهودي في الأدب العالمي فكان اليهودي المنعزل والمرابي والظالم والعنصري والجبان والمُحتال والماكر والجشع و المرتشي. وتجسدت تلك الصفات في شخصية اليهودي في أعمال أدبية شهيرة، من أبرزها: مسرحية " يهودي مالطا " لكريستوفر مارلو، مسرحية " تاجر البندقية " لوليم شكسبير، رواية " اوليفر تويست " لتشارلز ديكنز. هل اكتفى الأدباء العرب

1- عبد الله ركيبي، **تطور النثر الجزائري**، المرجع السابق، ص164-165.

2- نفس المرجع السابق، ص166.

باستنساخ تلك الصور النمطية لليهودي في أعمالهم وعلى نحو خاص في أعمالهم الروائية أم قدموا صوراً أخرى؟. تتطلب الإجابة على هذا القيام بجولة في مكتبة الرواية الجزائرية، وهذا ما سيتم إنجازه.

إن المتتبع للنصوص الروائية في الجزائر المكتوبة بالعربية منها وبالفرنسية في السنوات الأخيرة يلاحظ اهتمام الكثير من الكتاب بتوظيف الموروث اليهودي في نصوصهم بين المخاتلة والاحتراز الذكي وبين التعبير المباشر عن المواقف والرؤى وبجرعة زائدة تعدت المألوف، حيث لم تتعرض هذه الكتابة إلى الشخصية الفردية لليهود بقدر ما تعرضت إلى تأصيل وجوده المكاني والاجتماعي في قالب من التعاطف والحنين ومحاولة إنصافه وذلك بغرض شخصيات حقيقية عاشت في الجزائر وربما ما تزال تعيش بعد تغيير الأسماء والألقاب.

ما يبدو سؤالا خفيا في رواية "أنا وحاييم" للروائي الحبيب السائح، المتوجة مؤخرا بجائزة "كتارا" للرواية العربية، هو لماذا لم يعد الجزائري يؤمن بالاختلاف؟ في البداية، لا أظن أن السائح كتب لنا رواية عن ثورة التحرير الجزائرية؛ فهذه الثورة وما سبقها من ظروف وما تلاها من أحداث كانت فقط مجرد خلفية تاريخية لطرح سؤال الاختلاف. وتحديدا من خلال التنبيه إلى أن ما يؤسس لأي ثورة هو الوعي بالاختلاف وتقبل الآخر.

جسد لنا السائح مفهوما عميقا للثورة في روايته الصادرة عن منشورات (ميم الجزائر، مسكلياني تونس، 2018)، عبر الصداقة المتينة التي جمعت بين أرسلان حنيفي، وهو مسلم جزائري، وبين حاييم بنميمون، وهو يهودي جزائري تجنس بالهوية الفرنسية. وهذا المفهوم يتمثل في أن الثورة هي منجز حداثي؛ إذ لا تثور المجتمعات إلا على الظلم، ولا يمكن لها أن تثور على هويّاتها المختلفة التي تشكّل نسيجها المتين.

من خلال هذه القصة منح لنا السائح إمكانية إعادة قراءة الثورة التحريرية كحدث إنساني تجاوز الغيتو الهوياتي. بل على العكس من ذلك، فقد أبرز أن الوطن يقبل كل أبنائه، وأن غاية الثورة هي تحرير العباد ليس من الاستعمار فقط، بل من تخلفهم ومن انغلاقهم.

لكن ما حدث بعد الإعلان عن استقلال الجزائر، أن بعض المتحمسين طالبوا بإحراق صيدلية حاييم، وطرده من الجزائر لأنه يهودي متجنس. كان وقع الحادثة شديدا على حاييم، لولا أن أرسلان وقف لهم بالمرصاد، وأشهر مسدسه في وجه الأشخاص الذين جاؤوا مدججين بحقدهم. كان مستعدا لأن يدفع حياته لأجل هذا اليهودي. (طبعًا، لم يكن

حاييم في نظر أرسلان إلا أخا له، فنادرا ما يتحدثا عن هويتهما الدينية، فما يجمعهما أكثر مما يفرق بينهما).

هل يعقل أن يخون الاستقلال، بكل تلك السرعة، مبادئ ثورته؟ إن ما حدث في الجزائر بعد الاستقلال هو الانحراف عن مشروع بناء دولة وطنية حداثية، تتأسس على هوية جزائرية متفتحة على كل أبعادها. أين نموقع هؤلاء الشيوعيين الذين دافعوا عن قيم الثورة وعن حق الجزائريين في الاستقلال؟ أين نموقع هؤلاء المسيحيين الذين سقطوا في ساحة الحرب جنبا إلى جنب مع إخوانهم المسلمين؟ وماذا عن اليهود أيضا؟ الثورة الجزائرية لم تكن ثورة دينية، كانت ثورة علمانية، إنسانية.

لم يكتب السائح عن صورة اليهودي، بل عن الجزائري الآخر، الذي هو جزء من التركيبة البشرية والاجتماعية والثقافية التي تشكّل في تركيبها الهويّة الجزائرية. صورة اليهودي في رواية السائح بريئة من أي حمولة أيديولوجية قد ترطبها بالأيديولوجيا الصهيونية، أو بمشروع الكيان الإسرائيلي، فحاييم في الرواية رفض السفر مع حبيبته إلى "أرض الميعاد" في فلسطين، لأنّ بلده هو الجزائر. إنّ موقفًا كهذا جعل من شخصية حاييم منسجمة مع موقفها من الاستعمار ومن الظلم الاستعماري، لهذا فإنّ رفضه للسفر إلى فلسطين هو نابع من موقفه إزاء أيّ شكل من الاستيطان.

الفصل الثالث

المبحث الأول: صورة اليهودي في الفكر العربي و الجزائري.

اعتاد الكثير من الكتاب والروائيين على تقديم صورة نمطية لليهودي، وهي الصورة السلبية الحافلة بكل النقائص والمثالب، فاليهودي لا يحفظ العهد، بخيل، قذر، حاقد منافق، دموي غادر، غارق في الجنس، عبدا للمال، لا يعرف القيم ولا المبادئ ولا الأخلاق، انتهازي في كل شيء من أجل تحقيق مصالحه وإشباع شهواته. وقد سادت هذه الصورة في الآداب العالمية عموما وفي الآداب العربية بصفة أكثر خصوصية.

أولا: في النص القرآني.

رسم الإسلام صورة اليهودي بكل وضوح من خلال النصوص القرآنية التي مرت بمرحلتين قد تبدوا أحيانا متناقضتين ففي آيات ومراحل زمنية اخبر الله في قصصه أن بني إسرائيل هم شعب الله المختار، وفي أقسام أخرى من القرآن يصف الله اليهود على أنهم قوم متمردون.

﴿ **يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾.[1] وأيضا﴿ **وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ** ﴾.[2] جاء ذكر المكانة الجليلة التي خص بها الله بني إسرائيل و تفضيلهم على العالمين، كيف كان الله يجد لهم من كل مأزق مخرجا ومن كل أمنية مستحيلة سبيلا لتحقيقها.

ومن باب آخر اظهر القرآن الصورة المخزية لليهود الملعونين أينما ثقفوا، ولأن الصورة الأخيرة لبني إسرائيل هي الصورة الراسخة والأكثر تداولا في أذهان المسلمين عامة والجزائريين خاصة، من خلال التجربة التاريخية التي تقاسمها الشعب الجزائري المسلم و المستوطنين القدامى من اليهود ومساهمة اليهود الفعالة في احتلال الجزائر من قبل

---

[1] – **البقرة**، الآية: 47.

[2] – **الجاثية**، الآية: 16،20.

فرنسا، هذا ما جعل هناك تطابق فيما جاء من القران الكريم عن خيانة اليهود المستمرة للعهود وغدرهم الدائم للأقوام التي يعيشون في أكنافهم وما حصل في الجزائر قبل وبعد الاستعمار الفرنسي.

فاليهود في الرؤية الإسلامية القرآنية يتسمون بالصفات التالية:

1. الأثر السلبي:

I. الجدول رقم واحد (سلبيات اليهود).

السورة	الصفات	الآيات و رقمها
البقرة	التنكر للحق والمجادلة فيه.	﴿ وَلاَ تَلْبِسُواْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُواْ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾الآية42. ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾الآية**89.** ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾الآية**93.**
المائدة		﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾الآية13. ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لاَ يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُواْ آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُواْ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَاحْذَرُواْ وَمَن يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن

		يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾الآية41.
الأنعام		﴿وَمَا قَدَرُواْ اللّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَا أَنزَلَ اللّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ اللّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ﴾الآية91.
المائدة	النفاق ونقض العهود	﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ وَلاَ تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمُ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾الآية13.
البقرة	الجبن و الخيان	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُواْ لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلاَّ تُقَاتِلُواْ قَالُواْ وَمَا لَنَا أَلاَّ نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْاْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾الآية246. ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُواْ مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ قَالُواْ لاَ طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلاقُوا اللّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَاللّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾الآية249.
الحشر	**الحـــــرص الشـديد علـى الحيـــــاة وعبادة المال**	﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا لا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن قُوتِلُوا لا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يُنصَرُونَ﴾الآية12.

2. **الأثر الايجابي:**

II. **الجدول رقم اثنان (الأثر الايجابي)**

السورة	الصفات	الآية ورقمها
البقرة	التفضيل على العالمين	﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُواْ نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ الْعَالَمِين﴾الآية152. ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَن تَنظُرُونَ﴾الآية50. ﴿وإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْ سُجَّدًا سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِ الآية58.
الأعراف		﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾الآية159.
الإسراء		﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَ عُلُوًّا علوا كَبِيرًا﴾ الآية4.
الدخان		﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ الآية30.
الدخان		﴿ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾الآية32. ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاء مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴾الآية6. ﴿ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾الآية49.

ثانيا: في النص السردي "رواية أنا وحاييم".

1. الأثر الايجابي:

لطالما كانت صورة اليهودي في المجتمع العربي المسلم تعتمد على الموروث الشعبي، الذي تناول سلوك اليهودي وليس معتقده الديني، فجاءت الصورة رمزا للشر على تفاوت درجاته و ضرره بالنسبة للمحيطين به.

فاليهودي صاحب الصورة "القبيحة" للمرابي والجاسوس فاقد القيم النبيلة، التي تعد قاسما مشتركا للأمم والشعوب، وكأن لسان الحال يقول، إن العالم يرى اليهودي بعين واحدة.

يشاء التاريخ أن تحكم هذه النظرة اليهودي ذاته حيال الآخر ليتخذ صفة "الأغيار". فقد ارتسمت الصورة النمطية ذاتها في العقل اليهودي عن المسلم بصفة خاصة و العربي بصفة عامة فكان العداء الأدبي مشتركا لا ظلم فيه و الصورة واضحة لكلا الطرفين لم تتغير بتغير الزمن ولا الأحداث السياسية ولا الاتفاقيات التي تدعم التطبيع.

في دراستنا الحالية لرواية أنا وحاييم للكاتب الحبيب السائح، لفت انتباهنا تركيز الرواية على تقديم رؤية مفصلة حيال اليهود، و الموقف منهم. وابتداء من العنوان و العتبات الاولى للرواية و حتى خواتيمها تجتهد الرواية في ترسيخ هذه الرؤية؛ وفي الدرس النقدي الحديث تعد العتبات نصوصا موازية للنص، يمكننا من خلالها تحقيق معنى النص من أوله؛ التداولية، ووظيفتها الإجمالية و الجمالية للنص[1] فالعنوان الذي يعد العتبة الأولى للرواية وفي هذه الرواية يظهر العنوان مثيرا للدهشة وبفتح آفاقا للتأويل، وهذا ما هو معروف على كتابات الحبيب السائح، فقد هيئنا كعادته للدخول في فضاء الرواية.

هذا العنوان الذي تم انتقاءه بحنكة ودهاء، فمن خلاله ندرك أن هناك ثيمتين رئيسيتين تقوم من خلالهما العلاقة الأزلية بين الذات والآخر، خاصة إن كان لهذا الآخر انتماء

1- بلعابد عبد الحق، **عنفوان الكتابة ترجمان القراءة العتبات في المنجز الروائي العربي**، نادي ابها الادبي، توزيع مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2013م،ص20.

ديني مختلف، فابتدأ بذكر الأنا التي تمثل مجموعة الأفكار و القيم و المعتقدات والعلم والشهادات والتاريخ الأسري والمكانة الاجتماعية والعلاقات و الأشياء و الأدوات، ثم أردفها باسم "حاييم" الذي يفصح على أن صاحبه يهوديا.

"حاييم بن ميمون" الشخصية اليهودية التي تعد بذات الأهمية للشخصية الرئيسة في الرواية "أرسلان حنيفي" ابن القايد، وتكاد تكون بنفس الوصف و نفس الأخلاق والقيم، والإحساس، نفس الانتماء الى الوطن.

و العتبة الأخرى التي توجه الرواية نحو هذه الوجهة هي الإهداء؛ حيث جاء في الإهداء: الى وليام سبورتيس William Sportisse مواطني الذي عرفته في "جنان الزيتون le camp des oliviers " فواضح هنا أن الكاتب (يهدي) الرواية، و الإهداء يحمل الدلالة الواضحة على الرغبة في التصالح، ثم هو يبحث عن الأصل المشترك بين اليهود و العرب: الانتماء الى (إبراهيم) –عليه السلام– وهذا الانتماء قد يكون انتماء بالنسب، وقد يكون انتماء بالدين، وتجتهد الرواية في بيان بعض الصفات و الصور المشتركة بين اليهود و العرب، وبخاصة أولئك اليهود الذين عاشوا بين المسلمين، مثل الغيرة على المحارم، و الكرامة، وعزة النفس، «أجدك كما ربي أورثوذكسيا زاهدا بلا نار في قلبه...لان حاييم لم يقترب من أي واحدة من أولئك الأوانس اللائي كانت هذه أو تلك منهن تلقي تجاهنا من وقت الى آخر التفاتة أو نظرة عابرتين احترق أنت لوحك في هذه الدنيا وفي الآخرة، رد حاييم مفتعلا لي تبرؤا».[1]

فهناك خلفية تاريخية بارزة لهذا التصالح حيث يلح الروائي على التذكير بالأصل السامي المشترك بين اليهود و العرب؛ ويؤكد أن اليهود و العرب أبناء عمومة.

الحبيب السائح حاول إزالة الحواجز الأزلية بين الثقافات و الديانات المختلفة من خلال تجميل صورة اليهودي الجزائري ومحاولة تبرئته وتبرئة اليهود عامة من جريرة ما حدث

1- الحبيب السائح: **أنا وحاييم**، دار هيثم للنشر، الجزائر، الطبعة 1، 2018، الصفحة 63/62.

من احتلال لأرض الجزائر، ويلقي باللائمة على طرف ثالث؛ وهو المستعمر الفرنسي. فهو يحاول تصوير اليهود الجزائريين على أنهم شعب تائه استغله (المستعمر الفرنسي) لخدمة مآربه، وتحقيق مطامعه، وهكذا يحاول السائح مرة بعد مرة ان يستند الى التاريخ خاصة ثورة التحرير الجزائرية.

«... وهذه الثالثة هي لحاييم نفسه، وهي تعود الى السنة الأولى من دخوله مدرسة "جول فيري"، أثارت حنيني الى جلوسي معه على طاولة واحدة، الى رائحة المداد و طقطقة حطب المدفأة ورنة الجرس، الى زنقة الدرب وساحة البلدية أيام الثلج نترامى بكرياته، الى الوادي، أيام القيظ، حيث سبحنا مرة عاريين فتكشف لنا ختتنا»،[1] حاول الكاتب تجريد حاييم بن ميمون الطفل من كل الخلفيات التاريخية و المراجع العقائدية متخذا من الختان تراثا مشتركا لدى الموحدين من نسل إبراهيم الخليل ولتقريب فكرة أن اليهود والعرب في الأساس من منبع واحد، لهم تقريبا نفس العادات والتقاليد، ثم إن اليهود الذين عاشوا و استوطنوا منذ أزمان بعيدة في البلدان العربية (الخليج العربي أو حتى دول شمال إفريقيا) قد انصهروا الى حد ما فيما يخص طريقة عيشهم.

ويتضح ذلك أكثر في وصف الكاتب لوالدة "حاييم" التي كثيرا ما وجد بطل الرواية أرسلان أنها تشبه جدته «وعلى الثاني المقابل صورة نصفية مكبرة في براويز: الأولى لموشي والد حاييم بعمامة من الجوخ، والثانية لوالدته زهيرة سماح. كم وجدتها، في نظرتها الطيبة المسالمة وحلي أذنيها ورقبتها وشدة عصابة رأسها، تشبه جدتي ربيعة»،[2] ألهذا الحد انصهر المجتمع اليهودي وذابت كل الفروقات المجتمعية والعرقية بين اليهود و العرب، هل كان الود قائما بين الجزائريين و الاشكناز، أم أن الكيان الصهيوني لم يصل بعد الى نشر أفكاره السامية؟ في نظر الكاتب ومن خلال عرضه لشخصيات الرواية نجد أن اليهود المقيمين في الجزائر وقت الاستعمار كانوا وطنيين يشعرون

1- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع السابق، ص 12.

2- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه، ص 13.

بالانتماء الى الأرض التي ولدوا فيها، وذلك عكس ما كان رائجا في الثقافة العربية عن المؤامرات و السلوكات المشبوهة التي كانت تلعبها المرأة اليهودية قبل وبعد احتلال فلسطين وذلك من خلال الروايات العربية حيث برزت شخصية المرأة اليهودية في رواية " زقاق المدق" لنجيب محفوظ سنة (1947)، وكذلك في رواية "لا تتركوني هنا وحدي" لإحسان عبد القدوس سنة (1979)، ورواية "الزلزال" للكاتب الجزائري الطاهر وطار سنة (1974)، ولن ننسى الرواية الأكثر جدلا وشهرة " ذاكرة الجسد" لأحلام مستغانمي الصادرة في بيروت سنة (1993). هذه كلها عناوين لصروح عملاقة في عالم الأدب العربي الحديث، لم يكن موضوع المرأة يصاغ بعيدا عن الفكرة الاعتيادية والتي تمثل المرأة المنحلة أخلاقيا التي تسعى وراء المال[1].

وجه والدة حاييم في الرواية كان يحمل الملامح الجزائرية و الطيبة الجزائرية وحتى التقاسيم كانت جزائرية فقد أصبغ عليها الكاتب وصف الأم الصالحة الملتزمة « مشيت وسط المشيعين.كانوا قلة، ولم يكن هناك في السير بنعشك ولا في مراسم الدفن ما يظهر أي تكلف؛ ليس لأنك فقيرة، وكلنا الى الإله فقراء، ولكن لان حياتك كانت بسيطة»،[2] الصورة التي رسمها الروائي لهذه الأم اليهودية صورة لامرأة صالحة لا علاقة لها باي انتماء أو توجه ديني أو سياسي، « أتصورك، حين طهرتك مغسلتك ولفتك في كفنك بسبع طبقات، كيف ابتسمت لها كما فعلت أول مرة لامك في قماطك. لا شك في ذلك فقد عبرت من طهر الرحم الى طهر القبر...»،[3]كلها كلمات ذات إيحاء عال بأن المرأة اليهودية ذات الاسم الجزائري زهيرة كانت وجها آخر للمرأة اليهودية في الروايات العربية الأخرى.

1- ينظر حسين نشوان، (تموز 2020)، **الشخصية اليهودية في الرواية العربية.. تحولات السياسي والثقافي**، تم الاطلاع /2022/05، http://www.afkar.jo/View_ArticleAr.aspx?Issue=2019&type=2&ID=3110

2- الحبيب السائح، **أنا و حاييم**، مرجع سابق، ص 199.

3- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه، ص 200.

«... اسم أوله لي حاييم بخبث الى ويل لمعرفته اللهجة العربية لان أمه زهيرة كانت لا تكاد تتكلم غيرها عكس والده موشي الذي علمه العبرية و بها صار يقرا التلمود و التوراة مثلما تعلمت أنا العربية...»،[1] المرأة اليهودية التي فضلت الحياة الأسرية البسيطة التي لم تكن تبحث عن المال و الثراء بقدر ما كانت تبحث عن الاستقرار. وهذا ما كان غائبا في شخصية كولدا حبيبة حاييم التي لم تكن راضية عن توجهاته الفكرية و السياسية.

إن الارتباط الروحي كمفهوم واسع لا يخضع لقانون العقل و المنطق، كما هو ارتباط حاييم و أرسلان الذي كسر المعتقد السائد على أن كل يهودي خائن وكل جزائري كاره لليهود بالفطرة، الأمر معقد جدا في نظر الكاتب وفي سرده التاريخي لوقائع الثورة التحريرية، أرسلان كان يثق جدا في إخلاص حاييم الذي ائتمنه على روحه وروح زليخة و على الثورة، « دخلت الصيدلية من بابها الخلفي حسب مخطط الانسحاب.وجدت حاييم في انتظارها ادخلها المخبر. وربط على ساعدها ضمادة لإيقاف النزيف. ثم تكلم في الهاتف بعد حين حضر ممرض لم يكن من الأهالي خاط جرحها الذي تطلب ثلاث غرز! وهمس، كأنه يخبر حاييم الواقف عليها برباطة ملأتها ثقة، انه من حسن الحظ أن العظم لم يصب»[2].

«لبرهة تخيلت حاييم في قبضة جلاديه بجسده غير الصلب كيف يكون انكساره مؤلما لأول ضربة يتلقاها.كنت اعرفه أكثر مما كان لأي احد غيري أن يعرفه؛ لا سي فراجي ولا الضابط زياد؛ فهو الآخر سألني عنه ليطمئن علي منه فأجبته بأنه أوثق مما يتصوره »[3]، و"حاييم" كان على قدر هذه الثقة وأكثر. كان استعداده للتضحية من أجل هذا الوطن قد بلغت حد تخليه عن حبه "لكولدا" وعن الهجرة معها الى فلسطين حيث كل يهودي يشعر بالانتماء لأرض الميعاد، «تعرف يا أرسلان ؟ كل يوم ازداد شعورا بان

1- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع السابق، ص31.
2- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه، ص 182.
3- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه، ص 188.

مكاني يجب أن يكون الى جانبك. احمل السلاح مثلك من أجل شعب يستحق الحياة».[1]

في حقيقة الأمر شخصية حاييم في الرواية تمثل الجانب الإنساني الآخر الذي لم يسلط عليه الضوء إلا نادرا عن قلة قليلة جدا من اليهود الجزائريين واليهود العرب بصفة عامة، وقد راحت شخصية اليهودي تتحول في الأعمال العربية من شخصية عارضة ثانوية الى شخصية محورية لها دور البطولة في عدة روايات عربية وفي روايتنا حال الدراسة شخصية حاييم هي أساس الرواية وهي صورة مشرفة ليهودي جزائري ولد وعاش في جزائر واختار أن يموت ويدفن فيها.

2. **الأثر السلبي:**

"كولدا" هي الصورة الأخرى عن المرأة اليهودية، الصورة النمطية ذاتها التي عاشت لسنين في مخيال كل شعوب العالم وليس فقط الشعوب العربية. المرأة التي خلقت لإشباع الشهوات، ممارسة اللذة وجمع المال، لا تختلف كثيرا عن الذكور من اليهود وهي إسقاط حر عن شخصية "ليليث" الأسطورية التي اعتمدها وباركها اليهود أنفسهم عن رؤيتهم للمرأة فقد وصفها الحاخامات في كتبهم التفسيرية في العصور السابقة وحتى اليوم، بأنها رمز للشر الكوني و الشهوة والتسلط و الخطيئة و التمرد و الجريمة والفجور و العصيان[2].

فلا نستغرب تناول الكتاب العرب لشخصية المرأة اليهودية بهذه الصورة السيئة، "كولدا" كانت أنموذجا حيا في روايتنا الحالية "أنا وحاييم" فكما عصت "ليليث" سيدنا آدم وتمردت عليه باستعلاء فعلت كولدا ذلك مع "حاييم" فقد عبر عن عدم ارتياحه لها رغم انجذابه لها «كولدا. ألذلك لم اطمئن يوما الى أن أناديك حبيبتي؟»[3]

1- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع السابق، ص188.

2- ينظر، عصام عبد الفتاح، **أعجب الأساطير في التاريخ**، الطبعة الأولى، مكتبة جريدة الورد، القاهرة، 2011.

3- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع السابق، ص 202.

« لطالما تساءلت، منذ التقينا، بعد خروجنا من صلاة المساء في بيعة لارودوت، أن كانت الديانات صارت عاجزة تماما عن التقرب بين أبناء آدم، إذ يبج وان الصلوات كلها في كنيسة هذه المدينة ومسجدها و بيعتها لم تزد هذه الحرب إلا أورارا»[1].

«كنت عبرت لك عن ذلك بصدق فسخرت من رومانسيتي، بل، كما قلت من صوفيتي التي لا تعني لك سوى العجز الذي ينخر روحي ويمنعني من النهوض من سباتي و تبديد أوهامي لأرى الواقع، كما تفرضه هذه الحرب التي لن يكون لنا، أنا وأنت، بعدها، موضع قدم على أرضها حين يستعيدها الأنديجان»،[2] موقف "كولدا" من الثورة كان واضحا منذ البداية بل ومن حبيبها "حاييم" الذي وصفته بالضعف و التصوف.

اتهام كولدا لحاييم بالتصوف لم يكن اعتباطا، بل كان له مرجعية تاريخية عن التصوف اليهودي " الكابلا" وإقحام الكاتب أيضا لهذا الوصف لم يكن اعتباطا بل كان عن قصد ودراية بنفسية اليهود وتاريخهم الصوفي في الجزائر. فتسمية البطل الثاني في الرواية باسم "حاييم بن ميمون" ما هو إلا إعادة للبناء الفكري العربي والجزائري على السواء فيما يخص التاريخ العربي اليهودي فلو فككنا الاسم لوجدنا اسم "حاييم" يعود لأبرز شخصية يهودية «**حاييم وايزمان:** تزعم المنظمة الصهيونية العالمية بعد موت هيرتزل عام 1904، وهو مخترع "مادة الأسيتون"، وقد لعب حاييم وايزمان دورا بارزا في استصدار وعد بلفور عام 1917، وبلورة مضمونه، وقد جاء هذا الوعد الى حد ما، بمثابة انتصار للنظرية الصهيونية السياسية، وتجسيدا لها، من حيث تبني دولة كبرى لمطالب اليهود الصهاينة في فلسطين»،[3]و" بنميمون" « موسى بن ميمون Moses Maimonides 1135-1204، طبيب وفيلسوف أندلسي و ابرز المفكرين اليهود في الأندلس في العصور الوسطى، ويُعرفه العرب بابي عمران، عبيد الله القرطبي، ولد في قرطبة، و

1- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع السابق، ص 202.

2- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- ياسر طالب خزاعة، رجائي جميل حرب، **تشكيل العقل الصهيوني السعي نحو يهودية الدولة**، دار الخليج للنشر و التوزيع، سنة 2015، ص 201،200.

توفي في القاهرة، ثم نقلت رفاته الى طبرية فلسطين، ودفن بين قبور اليهود»،[1]« في بعض كلام المؤرخين ما يشعر بان صلة ابن ميمون بصلاح الدين الأيوبي ووزيره القاضي الفاضل لم تكن مجرد تقدير لقيمة ابن ميمون في الطب و الفلسفة بل كان السلطان الأيوبي و وزيره يعرفان أيضا للحبر الفيلسوف مهاراته وحذقه في شؤون السياسة».[2] قد يكون للكاتب رؤية ما في اختياره لهذا الاسم الهجين "حاييم بن ميمون".

"كولدا" تلك اليهودية الحاقدة على الجزائريين وعلى الجزائر كوطن عاشت فيه طفولته « وكنت توقعت منك رد فعل آخر غير أن تنهضي فجأة وتعلني بغضب اشد، اشتعل له وجهك كله، انه لم يكن لك أن تلبي دعوتي الى بيت دنسه أنديجان مثل أرسلان، و جلس حيث كنت جلست. وربما أكل الأكل نفسه في الصحن نفسه و بالسكين و الشوكة. وشرب من الكأس نفسها».[3] حقد "كولدا" ليس مستغربا بل هو الانعكاس النموذجي عن الصورة النمطية للشخصية اليهودية الحاقدة على كل عربي مسلم.

اليهودية التي يأخذها شغفها بالعودة الى فلسطين الى درجة التخلي عن حبيبها "حاييم" و القسوة عليه ونعته بأبشع الأوصاف لرفضه العودة معها "أرض الميعاد" لم تكن خيارا "لكولدا" هي حقيقة و أمنية، "حاييم" لم يكن يرى أن له وطن آخر غير الجزائر فيها عاش وفيها يموت ويدفن كآبائه وأجداده.

"حاييم" كان مدركا أنه اختار الموت وحيدا كبيت مهجور دون قصائد وليال وردية، فالدين يحرم زواج المسلمات من غير المسلم، لكن الأرض كانت بالنسبة "لحاييم" هي شمس الحب التي تعانق وجه الحرية.

1- إسرائيل والفنسون، دراسة وتقديم الحسيني الحسيني معدي، **موسى بن ميمون حياته وصفاته**، كنوز للنشر و التوزيع، 2008، ص 5.

2- إسرائيل و الفنسون، **دراسة وتقديم الحسيني الحسيني معدي، موسى بن ميمون حياته و صفاته**، المرجع السابق، ص 25.

3- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع السابق، ص 204-205.

«و كم شعرت بألم الذبحة إذ سألتني إن كان بقى في نفسي شيء من كرامة اليهودي وحبه لأرض الميعاد يساعدني على لملمة شملي الممزق استعدادا للرحيل عن هذه الأرض اللعينة، وانتظرتِ مرتجفة الفك. فكان جوابي، مرة أخرى، صمتي وسكوتي. لم أكن استطيع أن أقاوم بغيرهما تيار غضبك الجارف الذي يجب ألا اخفي عنك أني أحسسته يتدفق حقدا أيضا»،[1] كان ممزقا بين البقاء في مكان المنبت وبين أن يزرع من جديد في مكان جديد.

«كولدا! ليتك تعلمين كم تسيئين الى روحي»[2]، يظهر هنا التشوه النفسي للشخصية اليهودية بصورة صريحة مباشرة حيث تكرر كثيرا وصف حقد اليهودية "كولدا" على الجزائريين؛ فاليهود قوم حاقدون، تمتلئ قلوبهم حقدا، وتفيض نفوسهم حسدا كما جسدتها صورت اليهودية كولدا في إفضائها لحبيبها حاييم وهي تحاول الضغط عليه ومصارحته بما في صدرها. « ومن هنا فانه إذا كانت صورة الرجل في الرواية ضرورية للتعبير عن الواقع، فان صورة المرأة في الرواية اشد وضوحا في تعبيرها عن الواقع من صورة الرجل»[3]. لا شك في أهمية اليهودية في رواية الحال لأنها صورت لنا التباين في عملية التصوير وذلك حسب رؤية الكاتب نفسه فرسم لنا شخصية السيدة "زهيرة" والدة "حاييم" و "كولدا" حبيبته، فجاءت الثانية رمزا للغاوية و الحقد تستغل حب حاييم لها وتبتزه من أجل الهجرة معها الى فلسطين. و الأولى صورها على أنها وجودية ذات انتماء تعيش حياتها كمواطنة جزائرية عربية ولا تنشغل كثيرا بالثقافة العبرية حتى أنها لم تكن تتحدثها إلا للضرورة عكس اللغة العربية.

1- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه،ص205.

2- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- طه وادي، **صورة المرأة في الرواية المعاصرة**، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1980، ص56.

المبحث الثاني: تحولات صورة اليهودي في رواية الحبيب السائح " أنا وحاييم".

ظهرت انعطافات متوالية تاريخيا من حيث تمثلات الصورة النمطية للشخصية اليهودية، هذه الصورة النمطية التي انحدرت الى الرواية العربية من خلال الأدب الغربي، خاصة في القرن السادس عشر، الذي وضع للشخصية اليهودية إطار لا تحيد عنه وفي الغالب كان هذا الإطار يشكل مجموعة من أبشع الصفات البشرية.

أولا: مظاهر التحول في صورة اليهودي في الرواية العربية والجزائرية.

الانعطافات التاريخية في الصورة النمطية للشخصية اليهودية إرهاصاتها كانت بعد هزيمة العرب أمام إسرائيل عام 1967؛ هناك برز الجانب الإنساني النبيل في الشخصية اليهودية التي تتبرأ من المشروع الصهيوني وتفضل العيش بسلام في الأوطان التي ولدوا فيها، تناول الكتاب العرب الشخصية ليهودية بطريقة إنسانية أكثر وتم تقديمها على أنها شخصية تحمل من مكارم الأخلاق ما تحمله أي شخصية إنسانية عادية.

تحفل رواية أنا وحاييم للروائي الحبيب السائح بنماذج يهودية عديدة، ذكورية و نسائية، وهي نماذج تمثل الطائفة اليهودية الجزائرية، هناك تجار وهناك رجال علم مثل حاييم بنميمون، وهناك نسوة يبدون قياسا الى النماذج النسوية العربية المسلمة داخل النص الروائي، يبدون متحررات مثل كولدا رافييل ابنة السارجان حبيبة حاييم بنميمون، « و زليخة النضري بنت الفقيه ومعلم القران التي كانت تتنافس مع كولدا رفاييل بنت السارجان الى درجة التكاره»[1]، وهما نوعين من النسوة مختلفين تماما.

ولا يشكل اليهود في الرواية أفرادا يفني الواحد منهم حياته في سبيل المِلة اليهودية، ثمة تنافس بينهم يؤدي الى الكراهية و التناحر كشخصية المرابي "سمير مردوخ"، «موزير ألماني، أعرف أن هذه القطعة الجميلة ستعجب سيدي!» يفهم من الكلام المقتبس أن

1- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع السابق، ص108.

هناك مهناً يمارسها اليهود، وهي شراء الأشياء القديمة، ومنها التحف و الأسلحة، و يفهم منه أيضا أنهم يبيعون كل شيء.

ويخاف اليهود من الخسارة، وتنعكس على ملامحهم بوضوح علامات المكر و الدهاء «كنت سأعرضه على سيدي حنيفي، قال بمداهنة.

«وحرك رأسه بشكل حلزوني، بعين علي و أخرى على حاييم، مضيفا. مع هذه الظروف الأمنية المستجدة أصبح الواحد منا في حاجة الى حماية نفسه بنفسه»[1] "سمير مردوخ" أحد الصور الحية عن اليهودي الحر الذي يمارس يهوديته بكل إتقان.

فاليهودي مخادع، مختال، خبيث، ماكر، هكذا يبدو في كثير من الروايات العربية والجزائرية، فمن مغالطة و استغفال البيع و الشراء و الصفقات الجائرة، الى حياكة المؤامرات ضد الأفراد الطيبين البسطاء، واستغلال طيبتهم وسذاجتهم، الى نقض العهود و المواثيق، هكذا كانت صورة "كولدا" و "سمير مردوخ" انعكاس جيد لصفة اليهودي.

فقط حاييم بنميمون كان الاستثناء الجميل لصورة اليهودي في الجزائر عاش وناضل من اجل الحرية، ولم تكن صفة البخل وتقديس المال، والطمع من صفاته الراسخة، فقد كان يوفر الى المجاهدين في الجبل معرضا نفسه وصيدليته للهلاك. »هذه الرفوف بكل ما فيها تحت تصرفك.

فقط، مورفين، ضمادات، مراهم، اسبيرين، بينيسلين، كحول، وقطن.

أمرك!»[2] ، فكر اليهودي منصب على تحصيل المصلحة المادية، والتهام أموال الآخرين،قد يكون في هذا نوع من الصدق لو رجعنا الى الاختيارات الدراسية الأولى "لحاييم بنميمون" و البطل "أرسلان"، فقط اختار "حاييم" قسم الصيدلة فيحين اختار "أرسلان" قسم الفلسفة ويعكس هذا الاختيار لكليهما ما تنطوي عليه نفسيهما، إلا أن حاييم

1- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، مرجع سابق،ص156.
2- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه، ص189.

قد كسر هذه القاعدة من أجل انتمائه وحبه لوطنه الجزائر فقد وضف مكره وماله لخدمة الثورة، «فأجابني مبتسما، وهو يهيئ علبة كرتون، أن بعض الأدوية يجلبها من غير تسجيل لأنه يعرف مسؤول شيوعيا من لأوروبيين في الصيدلية المركزية لا يخفي تعاطفه مع القضية هو الذي يتواطأ معه».[1]

- **الرفض اليهودي للصهيونية.**

في رواية "البيت الأندلسي" 2014 للروائي الجزائري واسيني الأعرج، التي صورت الشخصية اليهودية على أنها شخصية مسالمة محبة للآخرين.

وبعد أحداث الربيع العربي، برزت في الساحة الأدبية روايات صورت الشخصية اليهودية بالشكل اللائق جدا و فوق المقبول، ففي رواية الحبيب السائح محل دراستنا يظهر جليا قبول الآخر اليهودي في المجتمع الجزائري و التعايش السلمي الذي دام الى غاية الانقلاب العسكري الذي قام به الرئيس الثاني للجزائر المستقلة هواري بومدين الذي ضيق جدا الخناق و أعلن العداء لإسرائيل نصرة للقضية الفلسطينية.

نجد في رواية "الحبيب السائح"؛ "أنا وحاييم" وكما هو موضح من خلال الإهداء أن الشخصية التي ألهمت الكاتب وجعلته يخلق شخصية خيالية للبطل "حاييم" على مقاسها هي لليهودي الجزائري وليام "سبورتيس"، ذلك اليهودي المجاهد الذي عاش كل شبابه في محاربة الاستعمار نصرة للأهالي الجزائريين.

غريب جدا الموقف الذي اتخذه الكاتب في تخليده لذكرى مجاهد أتعبته جدا هويته اليهودية وكأنها لعنة رافقته طيلة حياته، منع من الكلام عن الحرية وعن الوطنية رغم احتياجه لوطن ينتسب إليه، "وليام سبورتيس" أليس من الإنسانية عدم المبالغة في الانتقاص من وطنيته، غير أننا نحن العرب لا نرض أبدا بغير ادوار العداء بين اليهود والعرب.

1- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع السابق، ص189.

«حاييم؛ أنت تعرف أن يهود المدينة لم يكونوا جميعا مضطرين الى المغادرة».[1]

هناك من اليهود من كان رافضا لفكرة الهجرة و إعادة تعمير إسرائيل أو فلسطين خاصة اليهود الذين ولدوا في الجزائر هم و أبائهم، على العكس من "كولدا" « كولدا رفاييل كانت واحدة من أولئك الأوروبيات، من أصل يهودي، أولئك اللائي سارعن الى المغادرة عشية وقف إطلاق النار»،[2] كعادة اليهود الأزلية الانسحاب حين لا تكون هناك مصالح.

« فمنذ أن بدا يظهر أن المفاوضات ستنتهي الى إعلان الاستقلال، كثفت من اتصالاتها بيهود المدينة لدفعهم الى الهجرة وكان تعجلها إقناع حاييم بحسم مسالة مغادرته الى فلسطين».[3]

يظهر لنا الكتاب مدى التباين بين صورة اليهودي والصهيوني، من خلال التباين بين شخصية "حاييم" المسالمة المحافظة والذي يرفض قيام دولة يهودية في فلسطين، ويبذل جهده لإقناع "كولدا" بانتمائه إلى الجزائر وكشفه لها أن قيام دولة فلسطين هو مخطط صهيوني وليس يهودي. وشخصية "كولدا" الحاقدة ونظرتها العنصرية ورغبتها في الهجرة الى فلسطين مع تمسكها بالماديات، التي لطالما كانت محرك البحث في عقول اليهود بصفة عامة والصهاينة على وجه الخصوص.

« كانت قد جددت له دعوتها، لما زارته في بيته آخر مرة، من غير أن يستجيب فقدمت له ضمانات، أن هو غادر معها الى هناك، بان يحصل على محل لفتح صيدليه وعلى قطعة ارض لبناء مسكن؛ وربما على حقل زيتون أو برتقال، حسب المنطقة التي سيحل بها».[4] كولدا حاولت إغراء وإغواء حاييم بشتى الطرق ليذهب معها الى فلسطين و أقنعته

1-الحبيب السائح، **أنا وحاييم**،المرجع السابق، ص 256.
2- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه، ص 257.
3- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
4- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

أن الجزائر ليست وطنه بل هي بلد ملعون و من يسكن فيه ملاعين وان لا يجب أن يشعر لا بالانتماء ولا الولاء الى هذا البلد، لكن "حاييم" و أكيد هناك الكثير من اليهود من كانت لهم نفس نظرته وليس في الجزائر فقط بل في كل دول العالم عامة وفي الدول العربية خاصة لم يقدر على التفريط في المكان الذي عاش فيه ودفن فيه أهله، « فردت، بعصبية: مواطنة من الأنديجان؟ يا للمأساة، تعني ذمية من جديد تعني أن أصبح واحدة من نسائهم اللائي يعشش في رؤوسهن الجهل و التخلف و الحمق؟

لا يا سيد حاييم كن أنت وحدك المواطن الجديد في هذا البلد الملعون ... كيف ليهودي مثلك أن يرهن شرفه ودينه وحياته لهؤلاء الحثالات».[1] صورة واضحة رسمتها شخصية كولدا جاءت من منطلقها العقائدي الذي يعكس تعاملها مع الجزائريين فهي من أبناء شعب الله المختار.

حاييم أدرك من البداية أن الصهيونية ليست هي انتماؤه ولا عقيدته و انه ابعد ما يكون عن العنصرية، هذا ما تجلى لنا في أبهى صور اليهودي المستقيم حين كتب في وصيته «... و أنا السيد حاييم بنميمون المعرف أعلاه أوصي للسيد أرسلان حنيفي بما يلي: أولا، أن يضع تحت تصرفه مسكني في الدرب.

ثانيا، أن يحول محتويات الصيدلية الى الهلال الأحمر.

ثالثا، أن يبيع القاعدة التجارية ويقتطع من مبلغها دينه علي ويرسل الباقي بحوالة بريدية باسمي إلي بيعة الجزائر باسم الحاخام أبراهام إسحاق. انتهى».[2]صورة اليهودي حاييم بنميمون الذي عاش في الجزائر كمواطن جزائري ومات ودفن فيها، والذي كان رافضا لكل ما هو صهيوني تبين لنا أن الكتاب العرب قبلا كان عندهم قصور في رسمهم لشخصية اليهودي في إطار غير الإطار النمطي المألوف.

1- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع السابق، ص 258.
2- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**،المرجع نفسه، ص 328.

ففي نهاية المطاف و بالنظر الى من كتبوا عن اليهود ومن تناولوا مواضيع شائكة عنهم، يتبين لنا أن الكتاب العرب وعلى اختلاف ملتهم و توجههم السياسي و الديني يقولون أنهم ليسوا ضد اليهودية كديانة، وإنما نحن ضد الصهيونية التي تدعوا الى التطرف والتي لم يكن فقط العرب من كسبوا عداءها بل حتى اليهود أنفسهم كانوا من ضحاياها.

1. تأكيد إسهام اليهود في بناء الثقافة العربية والجزائرية.

حقيقة أنه ليس هناك تأثير أو إسهام لليهود يكاد يكون واضحا أو ملموسا في بناء الثقافة العربية، إلا انه يمكننا أن نقول أن عصر الازدهار للثقافة اليهودية كان في الأندلس الإسلامية، و هذا أمر لا يختلف عليه اثنان، ذلك أن الأندلس الإسلامية كانت أرضية خصبة لتلاقح الثقافات و تزاوجها، فهي بلد الأقليات والطوائف.

ولعل تسمية الكاتب لبطله حاييم بن ميمون كان له خلفية تاريخية، أراد من خلالها إعادة إحياء لروح التعايش و السلام بين الأديان و الحضارات، يعتبر موسى بن ميمون الفيلسوف والعالم ذو الديانة اليهودية و البيئة الإسلامية ولشدة احترام و إجلال المسلمين و اليهود الذين اشتهرت مقولة في أوساطهم تقول انه: "بين موسى و موسى لم يقم مثل موسى". فبين موسى النبي و موسى بن ميمون لم يكن هناك شخصية جديرة بالاحترام، وهو إعادة إحياء الكاتب لشخصية يهودية احترمها جدا المسلمون وساهمت جدا في بناء الثقافة العربية و الإسلامية.

«تستخدم أحيانا عبارة " الأدب العبري" للإشارة الى الأعمال الأدبية المكتوبة بالعبرية. وهو اصطلاح عام مقدرته التفسيرية و التصنيفية ضعيفة للغاية، فهو يشير الى الانتماء اللغوي للعمل الأدبي و حسب ولا يغطي الانتماء الحضاري أو القومي. فتشر نحوفكي و يهودا اللاوي كلاهما كتب بالعبرية، غير أن الأول ينتمي إلى التقاليد الأدبية الروسية الرومنتكية، بينما ينتمي الثاني إلى التراث الأدبي العربي الأندلسي»[1].

1- عبد الوهاب الميسري، **موسوعة اليهود و اليهودية و الصهيونية**، مرجع سابق، ص 08.

رغم التحفظ الواضح الذي اعتمده الوسط الأدبي في ترجمة بعض الأعمال الأدبية اليهودية، إلا أن هناك من ينادي بكل جرأة لكسر حاجز النفاق الذي يعيشه المجتمع العربي من خلال ترجمة العمال الأدبية الإسرائيلية وهذا ما قاله صراحة الكاتب الجزائري المثير للجدل الأمين زاوي "لماذا يخشى العرب ترجمة الأدب الإسرائيلي الى لغتهم"، مثيرا بذلك حفيظة كل من يرى في الترجمة نوع من التطبيع الأدبي.

حقيقة لم يكن زاوي أول من قال بترجمة الأدب الإسرائيلي الى العربية فقد سبقته « دار نشر مصرية قررت التخصص في نشر ترجمات الأدب العبري.هي "الدار العربية للنشر" التي تجمد نشاطها تماما في السنوات الأخيرة واختفى صاحبها الكاتب أمين المهدي عن الأنظار بعد أن نشر في تسعينيات القرن الماضي رواية عاموس عوز "حنا و مخائييل بترجمة رفعت قودة»[1]، في حين انه هناك هيئة أخرى «أما الهيئة العامة لقصور الثقافة، فنشرت رواية ديفيد غرو سمان " الرياح الصفراء" عام 1999 وترجم حسين سراج رواية ايليي عمير"ياسمين" التي نشرتها دار ابن لقمان في المنصورة شمال مصر. و ترجم الروائي المصري نائل الطوخي عن العبرية رواية " تشحلة و حزقيل"، للكاتب آلموغ بهار، و صدرت عام 2016، عن دار "الكتب خان" في القاهرة، كما ترجم كتاب " الأمة والموت"، للمؤرخة عيديت زيرتيال، ونشرته دار ميريت عام 2010»[2].

و القائمة مازالت ممتدة الى يومنا هذا، و الواضح انه لم يكن إسهاما بارزا لكنه موجود رغم قلته و رغم تحفظنا العربي.

« ويقول أستاذ اللغة العبرية و آدابها في جامعة الإسكندرية أحمد فؤاد: "من نافلة القول أهمية دراسة الأدب فهو وفقا لباحثين كبار: " تعبير عما كان وما يكون وما سيكون وما يفترض أن يكون"، ويمكن من خلاله تبيين صراعات نفسية، طامحا في التمدد، ولا يحترم

1- علي عطا، الثلاثاء 11 يونيو 2019، **كتب إسرائيلية تملا المكتبات... قراء يقبلون عليها و آخرون يقاطعونها**، تم الاطلاع عليها 19:18، www.independentarabia.com

2- علي عطا، **كتب إسرائيلية تملا المكتبات... قراء يقبلون عليها و آخرون يقاطعونها**،المرجع السابق.

القوانين وقرارات الشرعية الدولية، أو الأخلاق والتعاليم السماوية غير المحرفة، ولا يرتكز إلا على جدارة القوة العسكرية"»[1].

ثانيا: أسباب التحول الإيجابي في صورة اليهودي في المعتقد الجزائري.

إن رسم اليهودي في صورة البطل المطلق في الروايات العربية يعد كسرا للمحظور وتجاوز خطير للموروث الشعبي العربي و الجزائري على وجه الخصوص، لأن القالب الذي يصنعه الروائي العربي و الجزائري لشخصية اليهودي لم يأت من فراغ، بل من وجود الكيان اليهودي في المجتمعات العربية فهم جزء من النسيج الاجتماعي التاريخي العربي على امتداد فترات طويلة والى غاية اليوم.

1. تغير الصورة النمطية لليهودي بخلع صفات نبيلة

في مطلع هذا القرن ظهر انعطاف تاريخي وفني في تناول الأدباء للشخصية اليهودية، أقل ما يقال عنه انه إعادة لتبييض صفحة اليهود و إعطائهم بعض القبول من الآخر، حتى أنه هناك بعض الكتاب من أتهم بالمبالغة في تناوله للشخصية اليهودية، وإظهارها بمظهر مختلف عن الصورة النمطية المعتادة.

حاول الكاتب إعادة رسم صورة اليهودي الجزائري من خلال بطله "حاييم" وفي حقيقة الأمر أن هذه الصورة لم تكن من بنات أفكار الكاتب ولا من خياله المحض بل هي صورة حقيقة لشخصية –وليام سيبورتيس– أثر جدا في "الحبيب السائح" الذي خصص له إهداء في مطلع روايته، ومن خلال هذا البطل في عين الروائي الذي ألهمه وجعله يحاول إقناع الشباب الجزائري أن هناك من اليهود من دافع عن الجزائر لأنها وطنه.

حاييم، هو أحد الأبطال الذين ساندوا الثورة الجزائرية وعرضوا أنفسهم للخطر،«لذلك لم اعتبر نفسي يوما فرنسيا؛

1- علي عطا، **كتب إسرائيلية تملا المكتبات... قراء يقبلون عليها و آخرون يقاطعونها**،المرجع السابق

–برغم أنك تتمتع بما يجعلك فرنسيا كامل الحقوق، قلت بما في قلبي من صدق».[1]

« فاتخذ حاييم من وسادته مسندا لظهره على الجدار، و تراجع شارد النظرة. ليلتها حدثني بان والدته ظلت مثله لا تشعر أنها فرنسية –وأنا طفل كنت لا أجد لها شبيها يقربها من نساء الأقدام السوداء و الأوروبيات».[2]

المواطنة هي إحساس عاشت به و لأجله أسر يهودية في الجزائر و "حاييم" من أبناء هذه الأسر، فلم يكن يظهر عليهم التميز أو الانسلاخ عن البيئة الجزائرية التي عاشوا فيها وهذه أهم الصفات النبيلة، **أن** يكون الإنسان مهما كان انتماؤه الديني ابن البيئة التي نشا فيها يسره ما يسرها ويسوؤه ما يسوؤها.

« تعرف يا أرسلان؟ كل يوم ازداد شعورا بان مكاني يجب أن يكون الى جانبك. احمل السلاح مثلك من اجل شعب يستحق الحياة؛ قال حاييم مرفقا ذلك بإيماءات الرغبة من يديه».[3]

«شكرا. يجب ألا أبقى أكثر مما بقيته لهذه اللحظات السعيدة أريد فقط بعض الأدوية، رددت باستعجال.

فنهض و أشار الى بان اتبعه و في داخل الصيدلية دار نصف دورة. هذه الرفوف بكل ما فيها تحت تصرفك.

- فقط ورفين، ضمادات، مراهم، أسبرين، بينيسيلين، كحول و قطن.
- أمرك».[4]

من يقدم حياته كرهينة لمبدأ أو قيمة إنسانية نبيلة يجب أن يُحترم مهما كانت ديانته، هي رسالة واضحة من الكاتب في روايته "أنا وحاييم"، الاعتراف بالاختلاف و التنوع في

1- الحبيب السائح،**أنا وحاييم**، المرجع السابق، ص 76.
2- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
3- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه، ص 188.
4- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه، ص188–189.

الرؤى والمفاهيم، مع الحفاظ على عدم تحويل الاختلاف الى خلاف هي نظرية اعتمدها كتاب ما بعد سنة 1967 واعتبرت نقطة تحول إيديولوجية في الثقافة العربية من خلال فتح باب الحوار و التقبل، حيث أن الحوار في رسالته الإنسانية لا يسعى الى إدانة أو الى تصحيح أو الى إزالة الخلاف بين الناس، و لكنه يعمل على إرساء ثقافة احترام التعدد و التنوع على أنها قائمة و مستمرة فالسلام بين البشر لا يكون بإلغاء الاختلاف بل باحترامها عن طريق الحوار.

«أرسلان صديقي.

ينبغي أن اعترف لك، وكان يجب أن افعل هذا قبل افتراقنا في تلك الليلة عند دارة الساعة ... هل تذكر كيف صمت للحظات وأنا انظر إليك شارد الذهن عنك، أتساءل أكانت بشرية وجوه واضعي قانون الأهالي قبل حوالي قرن من الآن»[1]، « ذلك القانون الذي كنت قرأت على منه هذه الفقرة: "إن الأهالي مسلمين أو يهودا، هم فرنسيون و لكنهم لا يحوزون حقوقا مدنية ولا حقوقا سياسية، أنهم يحوزون جنسية الرعية، بصفة افتراضية"».[2] الكاتب وصف ما كان وما الذي يجب أن يكون في نهاية روايته فالعلاقة بين اليهودي و المسلم هي عداء سياسي متوارث لا علاقة له بصراع الأديان ولا عقليات الشعوب، فالعلاقات بين اليهود و العرب على مر العصور التاريخية كانت تمتاز بالاستقرار و الازدهار الثقافي خاصة للمجتمع اليهودي، فقد كان اليهودي يعيش في كنف العرب في أمن و أمان، هكذا كانت البداية والنهاية « من يرقد في ذاك القبر هو الصيدلي حاييم بنميمون نفسه. وهو الذي كان يرسل أدوية لعلاج المصابين من الجنود أمثال والدك.

فاستقام كأنه في استعداد لقائد أمامه.

سامحني يا سيدي إن كنت لا اعلم هذا»

«فكرت ماذا كان يجب أن أقول لمسلم يحرس مقبرة يهود؟ أن أعلن بانا كنا صديقين أنا وحاييم؟

1- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع السابق، ص206.

2- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه، ص206.

لم افعل سوى أن ربت على كتفه لحظة.

ثم غادرت»[1]. كيف للكاتب أن ينصر ويُحرر البطل "حاييم" من معتقد ساد في مجتمع عربي جزائري وصار كظل لا يفارق مُخيلتهم. فالحب قرار و الكره قرار و على الشباب جيل المستقبل أن يختار.

1. **إضفاء الصورة النمطية لليهود على غير اليهود.**

من خلال محاولتنا تناول الشخصية اليهودية في منظور المجتمع العربي عامة والجزائري على وجه الخصوص يتضح لنا مدى تجني الصهيونية على اليهود أنفسهم من خلال تشويه النسيج المجتمعي ، حيث حكمت بالإعدام على أي تعايش سلمي بين العرب و اليهود، وقد كان للجزائر موقفها الفاصل في العداء الأبدي بينها وبين من اغتصب فلسطين العربية.

أن يعترف اليهودي بعدم انتمائه للصهيونية و عدم انتمائه لفلسطين ومحاولة الاندماج في شعوب العالم الأخرى هو دليل على رفض اليهودي للظلم و تطلعه للعيش في السلام العالمي، و الانصهار في كينونة الآخر التطبع بطبعهم والمشي على نهجهم، فلم تعد الخيانة و الغدر و نقض العهود و المواثيق، الجشع و قسوة القلب و محبة إشاعة الفاحشة ، صفات تطلق على اليهود دون باقي البشر.

في رواية "أنا وحاييم" للكاتب "الحبيب السائح" نماذج بشرية لم تأت من باب المصادفة بل كانت رسائل هاربة تزرع في عقل المتلقي صور و رؤىً ليهودي لا يحمل صورة اليهودي، وصفات اليهودية يحملها من ليس يهوديا.

كانت وصيت والد أرسلان السيد حنيفي لابنه «في الفرنسيس رجال أحرار و عادلون. لا تنسى هذا».[2]

1- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع السابق، ص332.

2- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه، ص22.

ولعل ذلك تجلى لأرسلان في بداية إقامته في الثانوية حين تصادم مع "مسيو ويل" بشان النظام الغذائي المتبع كون الأغلبية الساحقة هي من الأوروبيين و الأقدام السوداء.

« وكان المدير لما سألني السبب فأجبت بثقة، أغاضت مسيو ويل الواقف بجنبي شابكا يديه الى الخلف مثلي، إني أفضل أن أتناول وجبتي الغذاء و العشاء مع حاييم بنميمون، لمعت في عينيه الزرقاوين إمارة تعجب. وارتسمت على شفتيه الرقيقتين ابتسامة عابرة، خففت عني خوفي؛ فقد كنت أمام سلطة فرنسية لها الحق علي في معاقبتي بالتوقيف أو الطرد. ثم سألني لماذا؟»[1]. « لما أجبت أن عائلتي مثل عائلة حاييم لا تأكلان من تلك اللحوم»[2]، « فيأمره! " إنهم ستة، إذا خصصوا لهم طاولة"»،[3] عدل و احترام للأديان من مسيحي له السلطة على مسلم ويهودي، وهي صفة إنسانية نبيلة لرجل فرنسي حر؛ يقابله شر مطلق لرجل فرنسي بديانة مسيحية وهو "الموسيو ويل"، « ولا شك أن غلالة اكفهرار كانت قد انتشرت على وجه "مسيو ويل"، وهو ينطق عبارة "هاه، لاراب»[4].

لم تكن شخصية "مسيو ويل" الشخصية المستفزة الوحيدة من الوجود العربي الجزائري على أرض الجزائر، فقد كان هناك مالا يعد ولا يحصى من هذه النوعية من البشر.

واجه "أرسلان" في بداية دخوله للجامعة نوعا من البشر فيه من الكره و التمييز ما لم يتفرد به اليهودي الجزائري فقد كان موظف الخدمات الجامعية يبغض "أرسلان" لمجرد أن علم انه من السكان الأصليين وحاول بلؤم التنمر عليه و كسر كبريائه ما حز في نفسية "أرسلان" «أنت هو أغسلان هنيفي؟، من غير أن ينطق صفة السيد.

1- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع السابق، ص22.

2- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

3- الحبيب السائح، **انا وحاييم**، المرجع نفسه، ص22-23.

4- الحبيب السائح، **أنا وحاييم**، المرجع نفسه، ص22.

ولم يكن أيضا استعمل صيغة جمع المخاطب، كما تقتضيه اللياقة؛ إضافة الى نبرته التي لم تخل من استفزاز منذر باشتعال شرارة مواجهة في هذا اليوم الأول من الالتحاق بالجامعة».[1] ففي الوقت الذي

يظهر فيه "حاييم" يهودي جزائري يحمل كل صفات النبل و الإخلاص هناك من يحمل روحا عدوانية متعصبة حيث يتكلم بلغة الازدراء و التهكم محاولا خلق جو من التوتر، لم يكن هذا الموظف آخر الخيبات التي تصادف "أرسلان" و "حاييم" وتحاول استفزازهما و إظهار مدى الكره و الاشمئزاز لكونهما من أهل الحرام و الختان.

«حتى قبل أن تعرفهما تدرك من ملامحهما أنهما من المختونين».[2] قالها أحد الأقدام السوداء الذي يعيش في أرض غير أرضه، دون الإحساس بالانتماء أو الامتنان لهذه الأرض و أهلها، ولعل هذا ما جسد فكرة المساواة بين اليهود وغيرهم في الصفات الايجابية والسلبية، فقد كانت نقطة التحول بعد أن حاولنا تفسير بعض السلوكات المستوطنين من الأوروبيين و الأقدام السوداء و اليهود، ففي الوقت الذي كان في هذا العدد الكبير من الأشخاص العدائيين نجد أن "حاييم بنميمون كان يهوديا كذلك لكنه يحمل صفات إسلامية خالصة، يشبه الرجل المسلم "أرسلان بن حنيفي" في كل شيء، في شكله و في لهجته و في عاداته. "حاييم" كان بطلا يهوديا وطنيا متمسكا ببلده الجزائر. ولا يريد الرحيل عنها، رفض الهجرة مع "كولدا" إلى فلسطين رغم كل الإغراءات والتهديدات.

إن التحول في النظر إلى الشخصية اليهودية يحتضن ضمنيا تحولين مهمين:

- أولهما: تحول في طرح الرؤيا العربية لليهود أمام العالم؛ وذلك من خلال التفريق بين اليهودي الموسوي الذي لم يكن يوما عدوا بل هو مكون لا يتجزأ من مكونات الأمة، تم

1- الحبيب السائح، **أنا و حاييم**، المرجع السابق، ص66.

2- الحبيب السائح، **أنا و حاييم**، المرجع نفسه، ص159.

التعايش معه عهودا طويلة، وبين الصهيوني العدو المحتل الذي أراق الدماء وشرد الشعب الفلسطيني.

- ثانيهما: يتضمن دعوة لتحويل و تغيير رؤيا الآخر للشخصية العربية، في قبولها للآخر، صورتها الدعاية الصهيونية، بدوية همجية متوحشة، تتحين الفرصة للانقضاض على نعاج بني إسرائيل من اليهود المستضعفين لإبادتهم.

وعلى هذا النحو حاول الكاتب أن لا يقصر في هذه الرواية التعصب أو التسامح على أبناء شعب دون شعب أو دين دون دين، و إنما الناس جميعا على اختلاف أديانهم و أعراقهم شركاء في هذا و في غيره، فهم شركاء في البغاء و القوادة، و الشرف و الإخلاص وحب الأوطان.

خـــــــاتمـــــــــــــة

سعيت من خلا بحثي للكشف عن صورة اليهودي و استقصاء أهم ملامحه في رواية "أنا وحاييم" لـ: الحبيب السائح؛ وتوصلت الى نتائج مهمة أوجزها في ما يأتي:

- عالجت الرواية موضوع المسكوت عنه في التاريخ الجزائري، وأظهرت المضمر/ المغيب في الثورة الجزائرية.
- جسدت رواية "أنا حاييم" البعد الوطني الذي يمكن في حب الوطن دون أعطاء الأولية للدين أو الأصل أو اللغة.
- إن استحضار اليهودي في رواية "أنا وحاييم" مرتبط بفكرة التعايش السلمي بين الديانات، و التطلع إلى مجتمع مثالي بقوم على التسامح وعدم الإقصاء.
- تؤرخ الرواية للمقاومة ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر، ولمشاركة اليهود الى جانب الجزائريين المسلمين في مواجهة الفرنسيين عن قناعة وحب وإخلاص.
- وظف الكاتب شخصيتان تختلفان في أصولهما و ديانتهما المسلم و اليهودي إلا أنها تلتقي في حبهما للجزائر، و تعلقهما بمنطقة سعيدة ووهران.
- تعتنق الشخصيتين القضية الوطنية وتنخرط في الكفاح المسلح ضد الاستعمار الفرنسي منذ اندلاع الثورة في 1954.
- تظهر ملامح الفكر المتطرف وعدم قبول الآخر المختلف؛ في شخصية المسلم مباشرة بعد استقلال الجزائر حيث تم التعدي على مسكن حاييم بنميمون اليهودي عشية الاستقلال.
- نصل إلى أن الحبيب السائح ينتصر لفكرة التسامح في طرحه للصورة المشرفة لليهودي من خلال عرضه لشخصية حاييم بنميمون التي كانت صورة ايجابية عن الوجود اليهودي في الجزائر فترة الاستعمار الفرنسي وما بعد الاستقلال مباشرة.

لم تختلف صورة اليهود في "أنا وحاييم" اختلافا جذريا عن الصورة التي عرفتها الآداب العالمية و العربية قبل القرن التاسع عشر: اليهود تجار يحبون المال حبا جما لدرجة انه يغدو معبدوهم و يصبحون في هذا مضرب مثل، و المال الذي يمتلكونه يجعل الآخرين في حاجة إليهم، وهذا قد يجر عليهم الخراب، لكن الملاحظ في رواية "أنا و حاييم" أن "الحبيب السائح" لم يرد أن يبقى أسير الصورة التي عرفت عن اليهود في الأزمان الماضية فصور لنا شخصية حاييم التي كسر بها الصورة النمطية القديمة لليهودي فاظهر جانب آخر وهو المناضل الباحث عن العدل و الحرية، الذي يرفض كل مظاهر التمييز والاستغلال للشعوب. ومن هنا يمكننا أن نقول أن الروائي أراد أن يقول أن صفات الذكاء و الدأب تؤول إلى المكر، والكيد، ونهب الخيرات. وأما الطمأنينة، و الغيرة والكرم، و الكرامة، فيكتسب اليهودي شيئا منها حين يعيش بين أوساط العرب و المسلمين، أو حين يرث شيئا من الجينات العربية، وتصور الروائي "الحبيب السائح" للبطل "حاييم بنميمون" بهذه الصفات الحميدة هي استثناء في الوسط اليهودي.

كما أن الروائي "الحبيب السائح" في روايته "أنا وحاييم" يحاول تبرئة اليهودي من جريرة ما حدث في مساعدتهم للاستعمار الفرنسي من الدخول لأرض الجزائر، و الاستعمار الأوروبي بصفة عامة ويلقى باللائمة على طرف ثالث وهو المستعمر الأبيض المتعجرف الذي عبث كثيرا في خارطة العالم وخلق الكثير من العداوات و الأحزان. فهم في نظره مجرد شعب تائه استغله المستعمر الأبيض لخدمة مآربه، وتحقيق مطامعه، فهو في أحيان كثرة كان يذهب في استناده للتاريخ و في أحيان يستند الى الواقع المعاش أثناء وقبل وبعد الثورة التحريرية للجزائر.

وفي نهاية دراستي تبين لي أن السائح قد انزاح عن النمط التقليدي لصورة اليهودي في الجزائر؛ وصور لنا انه يمكن أن يكون تصالح من خلال إزالة الحواجز الأزلية بين الثقافات و الديانات المختلفة؛ و بالأخص بين اليهود والمسلمين وارجع ذلك الى الخلفية التاريخية المشتركة، والتذكير بالأصل السامي المشترك بين اليهود و العرب؛ مؤكدا أن اليهود و العرب أبناء عمومة خاصة في قوله الذي تكرر نحن «أهل الحرام».

Summary:

The image of the Jews in “I and Haim” did not differ radically from the image that was known in international and Arab literature before the nineteenth century: Jews are merchants who love money so much that it becomes their worshipers and they become a model in this, and the money they have makes others need them. , and this may bring ruin to them, but it is noted in the novel “I and Haim” that “HabibSayeh” did not want to remain a prisoner of the image that was known about the Jews in the past times, so he portrayed for us the character of Haim, with which he broke the old stereotype of the Jew and showed another side, which is the fighter The seeker of justice and freedom, who rejects all manifestations of discrimination and exploitation of peoples.And from here we can say that the novelist wanted to say that the qualities of intelligence and perseverance refer to cunning, plotting, and plundering good things. As for tranquillity, jealousy, generosity, and dignity, the Jew acquires something from it when he lives among Arabs and Muslims, or when he inherits something from the Arab genes.

Also, the novelist "HabibSayeh" in his novel "I and Haim" tries to absolve the Jew of the crime of what happened in helping them to French colonialism from entering the land of Algeria, and European colonialism in general, and blaming a third party, which is the arrogant white colonizer who tampered a lot in the world map and created Lots of enmities and sorrows. In his view, they are just a lost people who were exploited by the white colonizer to serve his goals and achieve his ambitions, as he often used to rely on history and sometimes based on the reality lived during, before and after the liberation revolution of Algeria.

At the end of my study, it became clear to me that the tourist had moved away from the traditional pattern of the image of the Jew in Algeria; He portrayed to us that he could be reconciled by removing the eternal barriers between different cultures and religions; Especially between Jews and Muslims, and this is due to the common historical background, and a reminder of the common high origin between Jews and Arabs; He stressed that Jews and Arabs are cousins, especially in his repeated saying, “We are the people of Haram.”

قائمة المصادر
و المراجع

أ. قائمة المصادر و المراجع بالعربية:

القران الكريم برواية ورش عن نافع

1) البقرة، الآية: 47.

2) الجاثية، الآية: 16،20.

➢ **قائمـــــة المصـــــــادر:**

1) الحبيب السائح: **أنـا وحـاييم**، دار هيثم للنشر، الجزائر، الطبعة 1، 2018، الصفحة 63/62.

➢ **قائمـــــة المراجـــــع:**

2) أبو القاسم سعد الله، **تـاريخ الجزائـر الثقـافي**، دار عالم المعرفة، ط1، الجزائر،2009، ص159.

3) أحمد الشحات هيكل، **يهود المغرب تاريخهم وعلاقتهم بالحركة الصهيونية**، سلسلة الدارسات الدينية التاريخية، جامعة القاهرة،2007، ص12.

4) احمد سميح، **تاريخ جماعات اليهود و اليهودية في إفريقيا في العصر الحديث رؤية تاريخية جديدة**، مكتبة الانجلو المصرية، 2014، ص71.

5) أحمد توفيق المدني، **محمد عثمان باشا داي الجزائر (1766-1791)**، د ط، م و ك، الجزائر، 1986م، ص55-56.

6) أحمد سيد محمد، **الرواية الانسيابية وتأثيرها عند الروائيين العرب**، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، 1989.

7) أحمد فريحات، **أصوات ثقافية في المغرب العربي**، الدار العالمية للطباعة و النشر، لبنان1984، ص 87.

8) إسرائيل والفنسون، دراسة وتقديم الحسيني الحسيني معدي، **موسى بن ميمون حياته وصفاته**، كنوز للنشر و التوزيع، 2008، ص 5.

9) بسام العسلي، **المقاومة الجزائرية للاستعمار الفرنسي** 1830-1838)م،) دار النفائس، بيروت، 1980م، ص176-177.

10) بن جمعة بوشوشة،**الرواية العربية الجزائرية،اسئلة الكتابة و الصيرورة**، دار سحر النشر، الجزائر، 1988.

11) بن جمعة بوشوشة، **التجريب وحداث السردية في الرواية العربية الجزائرية.**

12) – بلعابد عبد الحق، **عنفوان الكتابة ترجمان القراءة العتبات في المنجز الروائي العربي**، نادي ابها الادبي، توزيع مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط1،

13) جورش لوكاتش، **الرواية**، ترجمة مرزاق بقطاش، المؤسسة الوطني للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010.

14) حنيفي هلايلي، **العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة (1815–1830) م**، دار الهدى، الجزائر،2007م.

15) حسين خمري، **فضاء المتخيل – مقاربات في الرواية**، منشورات الاختلاف ، 2002، بدون بلد.

16) خيرية قاسمية، **يهود البلاد العربية، مركز الدراسات الوحدة العربية**، بيروت، 2015.

17) سمير نور الدين دردورة، **ملحمة الجزائر شرح تاريخي لإرادة الجزائر لشاعر الثورة مفدي زكريا**، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة، 2018.

18) السعيد الورقين، **اتجاهات الرواية العربية المعاصرة**، دار المعرفة الجامعة ، مصر ، 1992، ص16

19) شكري غالي، **أدب المقاومة**، منشورات دار الأفاق الجديدة، لبنان،2001.

20) صلاح العقاد:**الجزائر المعاصرة (محاضرات)**، معهد الدراسات العربية،مطبعة الرسالة، ط1، 1964.

21) طه وادي، **صورة المرأة في الرواية المعاصرة**، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1980.

22) عبد الرحمان بشير، **اليهود في المغرب العربي (22–462هـ/642–1070م)**، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ط 1، القاهرة، 2009.

23) عبد الوهاب المسيري، **موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية**، دار الشروق، ط1، القاهرة مصر،1999.

24) عيسى شنوف، **يهود الجزائر 2000 سنة من الوجود**، دار المعرفة، الجزائر، 2000.

25) عبد الرحمان بن خلدون، **المقدمة**، ضبط المتن ووضح الحواشي. خليل شحادة, دار الفكر للنشر والتوزيع، لبنان، 2001 م.

26) عبد الملك مرتاض، **في نظرية الأدب**، عالم المعرفة،المجلس الوطني للثقافة والآداب، الكويت، 1998.

27) عبد المفتاح عثمان، **بناء الرواية دراسة في الرواية المصرية**، ط1، مكتبة الشباب،القاهرة، مصر 1982.

28) عزيزة مريدن، **القصة والرواية**، المطبعة الجامعية للنشر والتوزيع، الجزائر،1971.

29) عبد المحسن طه بدر، **تطور الرواية العربية الحديثة في مصر** ، دار المعارف ، مصر ، د ت.

30) عمار عموش، **دراسات في النقد و الأدب**، دار الأمل، الجزائر، 1998.

31) عبد الحميد عقار، **الرواية المغاربية (تحولات اللغة والخطاب)**،المدارس النشر والتوزيع، المغرب، 2000.

32) عبد الله ركيبي، **تطور النثر الجزائري** ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1897.

33) ينظر، عصام عبد الفتاح، **أعجب الأساطير في التاريخ**، الطبعة الأولى، مكتبة جريدة الورد، القاهرة، 2011.

34) فوزي سعد الله ، **يهود الجزائر موعد الرحيل** ، ج 2 ، دار الأمة للنشر و التوزيع ، الجزائر ، سنة2010.

35) فاطمة بوعمامة، **اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين 7و 8هـ الموافق لـ 14و15م**، مؤسسة كنوز الحكمة، الجزائر، 2011.

36) لطفي زيتوني، **معجم مصطلحات نقد الرواية " عربي، انكليزي، فرنسي"**، مكتبة لبنان ناشرون، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان،2002.

37) محمد برادة، **أسئلة الرواية أسئلة النقد**، منشورات الرابطة، المغرب،1996.

38) ميخائيل باختين، **الخطاب الروائي**، تر: محمد برادة، دار الفكر، القاهر ، 1978.

39) محمد الوكيل ، **تاريخ اليهود في القارة الإفريقية**، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع ، القاهرة ، سنة ،2008.

40) محمد زروال، **العلاقات الجزائرية الفرنسية 1830 -1791**، مطبعة دحلب، الجزائر.

41) محمود سعيد عمران، **الإمبراطورية البيزنطية وحضارتها**، دار النهضة العربية، بيروت،2008.

42) مسعود كواتي، **اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين**، دار هومة، الجزائر،2009،

43) ميشال بوتور، **بحوث في الرواية الجديدة**، ترجمة: فريد انطونيوس، منشورات العويدات، لبنان،1989.

44) محمد مصايف، **الرواية العربية الجزائرية الحديثة**، الدار العربية للكتاب، الجزائر،1987.

45) المنور مروش، **دراسات عن الجزائر في العهد التركي العملة والأسعار و المداخيل**، ج1، دار القصبة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2009م، ص67.

46) محمد مصايف،**الرواية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والالتزام**، الشركة الوطنية للنشر،1983.

47) نبيل سليمان، **جماليات وشواغل روائية**، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا،2003.

48) نبيل سليمان، **التجريب في الرواية الجزائرية**،الملتقى الرابع لابن هدوقة، وزارة الاتصال والثقافة، مديرية الثقافة،2001.

49) ناصر الدين سعيدوني، **الجزائر منطلقات وآفاق**، دار الغرب الإسلامي، ط1، بيروت، لبنان، ،2000.

50) نجوى طوبال، **يهود مدينة الجزائر خلال عهد الدايات** (1700-1870م) **من خلال سجلات المحاكم الشرعية**، دار الشروق للطباعة و النشر و التوزيع، ط1، 2009.

51) واسيني الأعرج، **اتجاهات الرواية العربية في الجزائري**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986.

52) واسيني الأعرج، **النزوع الواقعي الانتقادي في الرواية الجزائرية**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا،2000.

53) يوسف مناصرية :**النشاط الصهيوني في الجزائر 1962-1897م**، ط1، دار البصائر، الجزائر ،2009.

54) يحي, بوعزيز، **تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن 16م إلى القرن20م**، دار البصائر، الجزائر2، 2009.

55) ياسر طالب خزاعة، رجائي جميل حرب، **تشكيل العقل الصهيوني السعي نحو يهودية الدولة**، دار الخليج للنشر و التوزيع، سنة 2015.

56) ناصر الدين سعيدوني، **لنظام المالي للجزائر أواخر العهد العثماني(1830- 1792م)**، البصائر للنشر والتوزيع، ط3، الجزائر، 2012م.

➢ **قائمـــــــــة المعاجـــم:**

57) ابن منظور، **لسان العرب**، تحقيق عامر أحمد، المج 7، دار الكتب العلمية، ط 1،2003، ص208.

58) ابن منظور الإفريقي، **لسان العرب**، مادة (ر و ى)، دار صادر، بيروت، ط1، 1997،ص271.

59) الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ص1290.

➢ **المجـــــــــــــــلات:**

1- حمدان خوجة، **المرآة**، ترجمة: محمد العربي الزبيري، ط2، ش و ن ت، الجزائر، 1982م.

2- دييغو دي هايدو، **(طوبوغرافيا الجزائر و تاريخها العام)**، المجلة الإفريقية، العدد15،الجزائر، يونيو 1996.

3- رمضان بسطاويشي، **نظرية الرواية لدى لوكاتش**، مجلة الأقلام، العدد12، 2017.

4- سعيد يقطين، **حداثة السرد في الرواية الجزائرية المعاصرة**، مجلة فصلية" إيران والعرب"،العدد العاشر،2013.
6- صاري علي حكمت، **الإرث التاريخي لسيدي بومدين و الرومي محور النقاش**، نشر في جريدة الجمهورية،الجزائر
7- عبد الرحمن الجيلالي، **تاريخ الجزائر العام**، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ج3.
8- محمد دادة، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ليهود الجزائر في الفترة العثمانية**، عصور الجديدة، العدد10، جويلية 2013م.
9- محمد صالح الجابرى، **طلائع القصة والرواية**، مجلة الثقافة، العدد18، 2008.

➢ **المذكـــــــــرات**

1- إدريس بودیبة، **الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار**، منشورات جامعة منتوري قسنطينة، 2000.
3- عبد القادر كركار، **الطائفة اليهودية في الجزائر 1830-1900التجنيس وردود الفعل**، مذكرة الماجستير في التاريخ المعاصر، تخصص تاريخ العلاقات بين ضفتي البحر المتوسط الغربي، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، ص2008.
4- عبد الرحمان نواصر، **مسألة الديون الجزائرية على فرنسا وانعكاساتها على علاقات البلدين في أواخر عهد الدايات**، مذكرة شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، قسم التاريخ، المركز الجامعي غرداية، 2011م.
5- عائشة غطاس، **الحرف والحرفيون بمدينة الجزائر، 1700-1830مقاربة اجتماعية اقتصادية**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث، قسم التاريخ ، جامعة الجزائر1، 2001.
6- كريمة عجال، **يهود الجزائر و دورهم في تسهيل عملية الاحتلال**، مذكرة لنيل شهادة الماستر تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، 2101-2108م.
7- كمال بن صحراوي، **الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات**، مذكرة ماجستير، قسم العلوم الاجتماعية، تخصص تاريخ و اثأر، جامعة معسكر، 2007-2008.

➢ المواقع الأجنبية

1- Aissa Chenouf, **Les Juifs d'Algérie 2000 ans d'existence**, Editions ElMaarifa, Alger, T1, 2008, p 24- 25.

2- Eisenbeth Mourice, **Le Judaisme nord Africaine**, études démographiques, in 8 braham constantine et bulletin annuel de la société archéologique de Constantine, 1931, p 06- 07.

3- Eisenbeth Mourice, **Op- Cit**, p 14- 15.

4- Michel Ansky, **Les Juifs d'Algérie du Décret créneaux à la libération**, édition du centre, Paris, 2011, p 03.

5- Sophie Beth Roberts.- **Citizenship and Antisemitism in French Colonial Algeria 1870-1962** ،Cambridge University Press, 2017, P20.

➢ المواقع الالكترونية

1- ينظر حسين نشوان، (تموز 2020)، **الشخصية اليهودية في الرواية العربية.. تحولات السياسي والثقافي**، تم الاطلاع /2022/05، http://www.afkar.jo/View_ArticleAr.aspx?Issue=2019&type=2&ID=3110

2 - علي عطا، الثلاثاء 11 يونيو 2019، **كتب إسرائيلية تملا المكتبات... قراء يقبلون عليها و آخرون يقاطعونها**، www.independentarabia.com

فهرس المحتويات

مقدمة..... أ

الفصل الأول:

التواجد اليهودي في الجزائر

المبحث الأول: الخلفية التاريخية ليهود الجزائر..... 13

أولا: الهجرة اليهودية الى الجزائر.....13

1. الهجرة القديمة.....13

2. الهجرة الحديثة.....17

ثانيا/ أهم المناطق التي تمركز فيها اليهود في الجزائر.....19

1. تعداد السكان 19

2. المناطق التي استقر فيها اليهود.....21

المبحث الثاني: النشاطات اليهودية في الجزائر.....24

أولا / النشاط التجاري و المالي لليهود في الجزائر.....24

1. أهم النشاطات الاقتصادية.....24

2. أهم النشاطات المالية.....24

ثانيا/ النشاط السياسي اليهودي في الجزائر.....29

1. أولا: علاقة اليهود بموظفي الدولة.....29

2. ثانيا: امتيازات اليهود في المجال القضائي.....31

المبحث الثالث: أوضاع اليهود في الجزائر قبل وبعد الاحتلال الفرنسي.....32

أولا/ اليهود و علاقاتهم بقضية ديون الجزائر مع فرنسا.....32

1. أولا: مسالة بكري و بوشناق.....33

2. بدايات مسالة الديون.....35

ثانيا / سياسة فرنسا تجاه يهود الجزائر.....38

1. أولا: التنظيم الطائفي ليهود الجزائر.....40

2. التنظيم السياسي الفرنسي لليهودي.....44

الفصل الثاني

الرواية

المبحث الأول: الرواية.....44

أولا/ ماهية الرواية نشأتها وتطورها.....44

1. مفهوم الرواية 44

2. نشأة الرواية و تطورها في الأدب العربي.....46

ثانيا/ الرواية بين التصور الغربي و العربي.....49

1. الرواية في التصور الغرب.....49

2. الرواية في التصور العربي.....51

المبحث الثاني: الرواية الجزائري.....52

أولا/ ماهية الرواية الجزائرية.....52

1. اتجاهات الرواية الجزائرية – مسار الرواية الجزائرية للتحولات.....53

2. البناء الفني في الرواية الجزائرية: التأسيس– التأصيل 59

ثانيا/ واقع الرواية الجزائرية.....63

اتجاهات الرواية الجزائرية..... 63

1. عوامل تأخر الرواية الجزائرية على نظيرتها العربية 65

3الوجود اليهودي في الرواية الجزائرية.....67

الفصل الثالث

صورة اليهودي في رواية الحبيب السائح " أنا و حاييم".

المبحث الأول: الصورة اليهودية في الفكر العربي و الجزائري.....73

أولا/ في النص القرآن.....73

1. الأثر السلبي.....74

2. الأثر الايجابي.....76

ثانيا/ في النص السردي "رواية أنا وحاييم".....77

1. الأثر الايجابي 77
2. الأثر السلبي:.....82

المبحث الثاني: تحولات صورة الآخر اليهودي في رواية الحبيب السائح " أنا وحاييم.....86

أولا/ مظاهر التحول في صورة اليهودي في الرواية العربية والجزائرية.....86

1. الرفض اليهودي للصهيونية.....88
2. تأكيد إسهام اليهود في بناء الثقافة العربية والجزائرية.....91

ثانيا/ أسباب التحول الإيجابي في صورة اليهودي في المعتقد الجزائري.....93

1. تغير الصورة النمطية لليهودي بخلع صفات نبيلة عليه.....93
2. إضفاء الصورة النمطية لليهود على غير اليهود.....96

خاتمة.....102

ملخص.....103

قائمة المصادر و المراجع.....104

فهرس المحتويات.....114

الملحق.....117

ملاحق

السيرة الذاتية للروائي:

"الحبيب السائح" كاتب و روائي جزائري من مواليد عام 1950، صدر له حتى الآن أربع مجموعات قصصية منها «القرار» التي نالت على الجائزة الأولى لمهرجان القصة والشعر

الذي نظمته وزارة التعليم العالي بالجزائر، وعشر روايات منها " أنا وحاييم" التي ترشحت ضمن القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية (البوكر) في عام 2019، والتي حصلت على جائزة "كتارا" للرواية العربية في العالم نفسه عن فئة الروايات المنشورة.

- **سيرته الأدبية**

ولد الكاتب و الروائي الحبيب السائح في ولاية معسكر تحديدا في منطقة سيدي عيسى في الجزائر، عام 24 ابريل 1950. عاش ونشا في مدينة سعيدة ودرس في جامعة وهران وتخرج منها بشهادة البكالوريوس في الآداب بعد تخرجهّ، عمل مدرسا في المعاهد التكنولوجية للتربية ثم ساهم في الصحافة العربية و الجزائرية وعمل أستاذ مشارك في جامعة التكوين المتواصل، و في معهد اللغة الفرنسية في مركز سعيدة الجامعي، و في عام 1994، غادر الجزائر متجها الى تونس حيث أقام فيها لمدة نصف عام قبل ان يتجه الى المغرب ويستقر فيها. ولكنه بعد سنوات عاد الى الجزائر وهو تفرغه للكتابة

بدأ السائح مسيرته الأدبية أولا في كتابة مجموعات قصصية في نهاية السبعينيات، حيث اصدر وهو مازال طالبا أول مجموعة قصصية له بعنوان القرار في عام 1979، والتي فازت بالجائزة الأولى لمهرجان القصة و الشعر الذي نظمته وزارة التعليم العالي في الجزائر، وبعدها في عامين، اصدر مجموعته الثانية بعنوان الصعود نحو الأسفل في عام 1981، كما اصدر السائح روايته الأولى بعنوان زمن النمرود الصادرة عن المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية في عام 1985، وتعرضت روايته وقتها للكثير من الانتقادات و الأزمات، حيث صدرت و سحبت النسخ من مكتبات المدنية بعدما اعتبرها بعض الناقدين في الجزائر أن الرواية تستهدفهم و تحاول إسقاطهم فعملوا على تحريض الرأي العام ضده وحصر بيته مما دفعه الى ترك بيته و مدينته و العيش بعيدا في مكان لخر لسنوات طويلة.

أصدر السائح حتى الآن أربع مجموعات قصصية آخرها كان الموت بالتقسيط الصادر في عام 2003، و عشر روايات منها رواية "أنا وحاييم" الصادر بطبعة مشتركة من دار ميم الجزائرية و "مسكيلياني" التونسية في عام 2018 و التي ترشحت ضمن القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية في عام 2019 و الفائزة بجائزة "كتارا" للرواية العربية في الدورة الخامسة عن الفئة الروايات المنشورة في العام نفسه. وتدور أحداث الرواية التاريخية في الجزائر و التي تحكي قصة الصيدلي حاييم بنميمون اليهودي و أستاذ الفلسفة المسلم أرسلان حنيفي، حيث كانا جيران و أصدقاء منذ الطفولة. عاشوا ذكريات مشتركة و تخرجوا من نفس الجامعة وبسبب الاحتلال الفرنسي للجزائر، يقرران الخوض في المقاومة الجزائرية لتحرير الوطن كل بطريقته الخاصة و تتغير حياتهما للأبد. آخر رواية أصدرها السائح كانت بعنوان ما رواه الرئيس الصادرة عن دار "مسكيلياني" للنشر و التوزيع عام 2020.

ترجمت بعض روايات السائح الى اللغة الفرنسية منها "ذلك الحنين" و "تماسخت"، و"تلك المحبة" و"مذنبون..لون دمهم في كفي"، كما قام "السائح" بترجمة بعض الأعمال الجزائرية عن اللغة الفرنسية الى العربية منها رواية "شرف القبيلة" للأديب الجزائري "رشيد ميموني"، و كتاب "لا وجود للصدفة" للكاتب "جمال عمراني" وغيرهم.

- **أعمـــــالـــــــه**

أ. **مجموعـــــة قصصيـــــة:**

- "القرار"، دار الوطنية،1979.
- "الصعود نحو الأسفل"، 1981.
- "البهية تتزين لجلادها"، اتحاد الكتاب العرب 2000.
- "الموت بالتقسيط"،2003.

ب. **الـــــــــروايـــــات:**

- "زمن النمرود"، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية،1985.

- "تلك المحبة"، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر و الإشهار، 2002.
- "مذنبون.. لون دمهم في دمي"، دار الحكمة، الجزائر،2009.
- "زهوة"، دار الحكمة، الجزائر،2009
- "الموت في وهران"، دار العين للنشر،2013
- كولونيل الزبربر، دار الساقي،2015.
- تماسخت، دار فضاءات للنشر و التوزيع،2017.[1]
- من قتل اسعد المروري، دار ميم للنشر،2017
- "أنا وحاييم"، دار ميم للنشر،2018.
- ما رواه الرئيس، دار مسكيلياني للنشر و التوزيع،2020

ت. أعماله المترجمة الى الفرنسية:

- ذاك الحنين، دار القصبة،2003 Un amour de papillon
- تماسخت، دار القصبة، 2003، Tamassikht
- تلك المحبة دار الحكمة،2012، Cet amour la
- مذنبون.. لون دمهم في كفي، دار الحكمة،2014. Sur ma main encoure le sang des coupables

ث. ترجـــــم هـــــو الى العربية:

- شرف القبيلة (العنوان الأصلي: Lhonner de la tribu) للكاتب رشيد ميموني.

- لا وجود للصدفة (العنوان الأصلي: Il n ya pas de hasard) للكاتب جمال عمراني.
- بين السن و الذاكرة (العنوان الأصلي: Entre la dent et la mémoire) للكاتب جمال عمراني

* الحبيب السائح، **رسالة الكترونية**، بتاريخ:2022/06/06، على الساعة:09:45 د

- شمس ليلينا (العنوان الأصلي: La double persence) للكاتب بتول فيكار.
- الحضور المزدوج

ج. جوائـــــــزه و ترشيحاتـــــه:

- جائزة الرواية من ملتقى عبد الحميد بن هدوقة بالجزائر عام 2003.
- وصلت روايته "أنا وحاييم" الى القائمة الطويلة للجائزة العالمية للرواية العربية "البوكر" في عام 2019.
- فاز بجائزة "كتارا" للرواية العربية عن روايته "أنا وحاييم" عن فئة الروايات المنشورة في عام 2019.[1]

* الحبيب السائح، **رسالة الكترونية**، بتاريخ:2022/06/06، على الساعة:09:45 د